على السَّفُّود



وللسَّفُّودِ نارٌ لو تَلَقَّتْ بِجَاحِمِها حَديداً ظُنَّ شَحْماً
ويَشْوِي الصَّخْرَ يَتْرُكُهُ رَماداً فكيفَ وقد رَمَيْتُكَ فيه لَحْماً

ذبابة !! ولكن من طراز زبلن ...

إى والله ، لو أن ذبابة من الذباب سخط الله عليها فابتلاها بمثل ما ابتلى به العقاد الشاعر الفيلسوف !! المراحيضى!! من الغرور ودعوى الغرور ووقاحة الغرور لنعبت فى قومها تزعم أنها من طراز زبلن وأنها فى قدره وقوته ولا أقل من أن يكون زبلن هذا عمها أو ابن عمها وإلا فهو ذبابة من ذباب ما وراء الطبيعة جاءت خاصة لترى فيها هى ذبابة الطبيعة ، فكلاهما (١) عظيم وكلاهما جبار قوة وذهن ..

(١) التذكير على اعتبار أن الذبابة تخيل لها أنها زبلن ......

قالوا وتغيب الذبابة المأفونة سحابة من نهار وبراها الذباب قاطبة مختبئة فى روث دابة . . . ثم تقذف بنفسها فى الجو عالية ثم تكسر ثم تنقض ثم تدور ثم تهبط ثم تقر على الأرض . فيقلن لها أين كنت لا كنت ويحك ؟ قالوا فتجيبهن أنها كانت مع المنطاد زبلن . . . وكانا معاً فى رحلة حول الارض . . . وكاد زبلن المسكين يتحطم فى العاصفة لولا أنها ضربت حوله بجناحيها ضربات دفعت له الهواء دفعاً أقوى من العاصفة ، فبضربة ترفعه من حيث يتكفأ ، وبضربة تمسكه من حيث يميل ، وبضربة تخلق تحته طبقة زاخرة فى الجو ، وهكذا لدماً ولكما ولطما فى صدر العاصفة وعلى وجهها وقفاها ، إلى أن ولت هاربة ، وتركت زبلن فنجا وما كاد ينجو . . .

قالوا وتضحك الذباب وتعلن لها : أيتها المأفونة ! لو قلت إنك عصفورة من عصافير الفردوس دافعت أمام عرش الله عن آدم وحواء فطردت معهما الى الارض ، لكان ذلك أشبه بالصدق من دعواك أنك من طراز زبلن ، وتساميك فى الدعوى إلى الرحلة معه حول الارض ، وتناهيك فى السمو إلى الدفاع عنه فى أجواز الفضاء ، وتألهك آخراً فى ضربك العاصفة وهزيمتها بجناحيك على أن هذا كله منك وأنت بأعيننا مختبئة فى هذه الرمة من هذه البهيمة فى هذه المزبلة ساعة ونحواً وأربعين دقيقة . . . أخزاك الله . أفى روث دابة زبلن وسماء وعاصفة وطواف حول الارض ؟

***

هذا وحقك ياسيدى القارىء هو مثل العقاد لو أفصحت الحقيقة عن نوع غروره وحماقته ومقدارهما فى الادب والفلسفة والكتابة والشعر ، فلقد كاد يقول للمغفلين من أمثاله والمخدوعين فيه : إعثوا فى عن الا له ، بل ما أراه الا أدعاها فى هذيانه الذى قال فيه

والشعر من نفس الرحمن مقتبس والشاعر الفذ بين الناس رحمن !!!

وقد مرت الاشارة الى هذا البيت وسخافة القصيدة التى هو منها

أما نحن فبحثنا فيه فلم نر إلا لصاً وعرفناه فلم نعرف الا ثيابا وفتشه النقد فلم يجد إلا صاحب مرحاضه ..

ياسلام . لماذا أنت سوداء أيتها الخنفساء ؟ قالت لأنى الشخصية اللامعة فى الكون !!

ياسلام . لماذا أنت مغرور أيها العقاد المراحيضى ؟ قال لانى أذكى من سعد باشا وأبلغ من سعد باشا . هذا ياسيدى وسيد كل أديب على وجه الارض . . كلام خنفساتى

فقل شيئا آخر . قل لنا مثلا إن الحقيقة المضحكة الساخرة القائمة فى نفسك والتى هى مبعث شعورك والتى خلعتها أنت على نفسك بأوهامها وزخارفها وتلاوينها ، هى بعينها تلك الحقيقة القديمة التى لبسها من قبلك العجل أبيس ! الخير أنه ظلم بها وحبس فيها وجاءته من الناس ، وتراها أنت عدلا وحرية فكر . . . وجاءتك من نفسك . وإلا فأفهمنى بغير الكلام الخنفسانى !! ما الفرق بين عجل يقال إنه بين الناس إله أو صورة إله ، وبين رجل مثلك يقول عن نفسه بنفسه لنفسه . . أنه بين الناس رحمن !

ثم أنك مثلت فصولا لا فصلا واحداً — فى رواية الغرور والدعوى (ولعبتها) كما يقول طه حسين ، ولبست للناس ثياب الرواية ، ولكنى رأيتك بعد منساقا فى الحياة وراء المعانى المكذوبة التى مثلتها تدعيها ولا تفارقها ، فبربك هل رأيت أثقل على النفس ممن كان مرة على المسرح ، أمام من دفعوا خمسة قروش وعشرة قروش ، وكان هرون الرشيد ، وكان له زبيدة وجعفر ومسرور ، وفاتت الرواية ، ثم يمر يوما على قسم الموسكى فيومىء للعسكرى الواقف على الباب ويقول له : يا مسرور ! اذهب الآن فاكبس دار فلان (أرجو من فضلك أن تكون غير عاقل) وائتنى برأسه ! وقل لزبيدة وقل لجعفر !! أنت والله يا عقاد فى دعواك وغرورك الأدبى أثقل وأبرد من هذا الاثشمرات . والذى يقول لك غير هذا فهو إنما يهزأ بك إن كان ذا رأى وكان لرأيه وزن .

* * *

رأى القراء فى السفود السادس خبط العقاد فى نقل كلام شوبنهور واستخراجه النتيجة منه على رغم أنف هذا الفيلسوف الكبير وادعائه أن ذلك رأى ابتكره وفاتت به العقول وأصحابها . ولكن بقى أن أعرف جواب هذا السؤال : هل فى الشرق كله رجل يفهم ويرى نفسه فى حاجة الى رأى عباس محمود العقاد . . . فى الرد على فلاسفة أوروبا وجبابرة الذهن فيها ؟ وهل يكون الرد للشرقيين وينشر فى الشرق ، أم للغربيين وينشر فى أوروبا ؟ وكم مقالة فى مثل ذلك كتبها العقاد فى صحف انجلترا وألمانيا وفرانسا ؟ وما ذا كان تأثيرها ؟ وما ذا قالت تلك الامم عن جبار الذهن المصرى ؟ وهل عيرتنا نحن به أم عيرت به فلاسفتها وكتابها ؟

هذا كله سؤال واحد ينضى بعضه الى بعض لأنه ان وقع شىء من ذلك وقع

وثبة الشرق

بحث

في أن العقلية التركية الحديثة هي مثال العقلية السليمة

التي يجب أن ينتحلها الشرق

ليجاري سير الحضارة العالمية

لا أظن أن من الأقوال التي صدرت عن حكماء الغرب وكتابه قول هو أبعد عن محجة الصواب من قول الكاتب « ولز » — « الغرب غرب والشرق شرق ولن يلتقيا » — فانما كان أملاها غرور له مبرراته ، واعتداد بالنفس له نتائجه ومقدماته . على أن هذا القول لا يدل على شيء بقدر ما يدل على ضيق في النظر وحرج في النفس ، سببه حالات قامت في الشرق ناظرتها حالات ارتقائية قامت في الغرب ، فقعدت حالات الأول به عن اللحاق بالحد الذي وصل اليه الثاني.

على ان محور هذا القول يدل على عقلية تلزم صاحبها الاعتقاد بان الشرق لن يستطيع أن ينتحل عقلية الغرب ليلتقي الاثنان في ميدان الجهد الانساني . ولا جرم أن هذا خطأ كبير وتعميم خطير النتائج بعيد الأثر في الاذهان : وهو بعد كل التعميات الفلسفية والاجتماعية والاحكام العامة الرنانة ، تطن بعيداً ولكنك لا تجد لها من حقيقة مادية ترتكز عليها . ولعمرك كيف يمكن أن يقبل حكم كهذا الحكم ويؤخذ على أنه قاعدة ثابتة، وأنت لو رجعت الى التاريخ القديم لوجدت أن اليونان كان لهم الحق في أن يقولوا نفس هذا القول عن الشرق ، وان الشرق قعدت به أدوار لا دور واحد ، كان من حقه أن يقول فيه أكثر من هذا في الغرب وفي أوروبا بالذات ! إذن فهو تعميم لا قيمة له من جهة الواقع، وانه كانت له مبررات زمانية ، وظواهر لا يمكن نكرانها في هذا العصر . وأنت اذا رجعت الى حالات اليوم والساعة التي قال فيها « ولز » هذا القول وقستها بحالات الشرق في هذا العصر، لوجدت أن مبررات هذا القول أخذت تتضاءل وتزول أهميتها شيئا بعد شيء . ولا نبالغ اذا قلنا بان هذه الكلمة التي طنت في أوروبا وتجاوبت بها أنحاء الشرق زمانا كادت تصبح من الاقوال المنبوذة . بل أصبحت صورة حفرية لعقلية قامت في الغرب في الزمان الذي كان المريض العثماني ملقى فيه على فراش المرض ، والامبراطورية التركية آخذة في سبيل الانحلال ، ومصر مستنيمة لحكم الغاصبين ، والهند مشغولة بحرياتها

الكل. فأجيبونا أيها القراء. إنه ان لم يثبت ذلك كله انتفى كل ذلك وأصبحنا من العقاد وغروره ودعواه في هواء وفضاء. فلم يبق الا ان العقاد وأشياعه هم المحتاجون الى الرد في هذا التشرق المسكين على شوبنهور ونيتشه وغيرهما تدجيلا وتعمية ويجدوا ما يتملقون عليه حين يجدون ما هم مضطرون اليه. فان البلية والبلية كلها آتية من عقول مضطرة للعمل العقلي اذ كان وسيلة العيش لاصحابها الذين يحترفون الكتابة في صحف تسمى صحفا على المجاز. اي باعتبار الطبع والورق !!.

وكانت عقولهم ضعيفة رخوة إذ نشأت على طبيعة كطبيعة التسلق النباتي فلم تبلغ درجة الأحكام والفصل. ثم لا يعملون بما وهي عندهم وسائل عيش دنيئة كمرية الحوذي مثلا — الا مثل العبقريين بوسائلهم العقلية العالية. فمن ثم لا، يكون همهم الا الاغارة على آثار العقول الناضجة الصحيحة بلا نقد ولا تمحيص ولا بد حينئذ من التشويه والمسخ ليعملوا عملا من عند أنفسهم فيقع الضرر من ناحيتين، ناحية ضعفهم، وناحية اضطرارهم.

وبذلك ينحدرون الى اضطراب شر من الأول فيرتطمون فيه وهو القطع والجزم هنا، فيما هو فرض أو تجربة هناك، ويبنى على هذا الأساس الواهي بناء يثبت أن صاحبه جبار ذهن !!! فقد لا يكون الفكر المنقول او المسروق شيئا يذكر وقد يكون شيئا قليلا ولكن (بعملية جبار ذهن ...) يصبح عندنا وأقل ما يوصف به أنه دليل على أن الكاتب جبار ذهن عبقري.

هي (عملية) الخلق الجديد بالتشويه والمسخ والتعمية ومداخلة الأقوال والأفكار بعضها في بعض الخ الخ والعقاد أكبر اختصاصي في هذه العملية، لانه لا حياء فيه ولا ذمة. فهو بذلك كاتب عبقري عظيم، ولكنه في الوقت نفسه أرخص كتب انجليزية لو عثر به شاعر او كاتب انجليزي لذهب واشترى لكتبه (قنالين) يطرد به هذا العث المسمى العقاد ... الذي يدأب في (أكل كتبه) وثماره العقلية

***

والآن قد ظهرت وجوه العقاد من نواحيه المختلفة وعليها صفعات البراهين ورآ القراء، كما يقال في لغة الملاكمة، يقبس الأرض بطوله .... (١) فلنودع ديوانه

---

(١) يكنون بها عن سقوط المصروع الى الارض وتمرغه عليها بضربة قاضية

بنظرات سريعة نقلبه فيا كيفما اتفق. فهذه هي عادتنا في نقده اذ لا يداخلنا شك أن في كل صفحة من ديوانه سرقات و غلطات وحماقات . ولم نعرض ولا نريد ان نعرض الى بيان فساد معانيه. فنقول هذا ضعيف وهذا ركيك، ولو قال كذا لكان أحسن الخ الخ. فان كل هذا لا يغض من العقاد عند العقاد ، وان نزل به في تقدير القراء والادباء لان الرجل كما تعلم فاسد الذوق ومن أقوى طباعه المكابرة ومن أوكد أسبابه عدم المبالاة . فاذا قلت له هذا عندي ضعيف قال لكنه عندي قوي وان قلت هو فاسد فيما أرى ، قال وهو فيما أرى صحيح . وهكذا لا تفتح عليه بابا الا خرج من باب يقابله . ولكنك حين تقول سرقت ومسخت وغلطت وأخطأت : تراه قد ابتلع لسانه واستخزى وانكسر، اذ ما عسى أن يقول ولا محل هنا لذوق يختلف فيه ولا لقديم أو جديد يهرب بأحدهما من أحدهما فلا يكون الا أن توثقه كتافا بالحقيقة وتلقيه في سجن الغلطة وهو سجن لا منفذ فيه الا الى محكمة لحكم. . .

انتقدنا في العدد السادس أبياتاً من قصيدة العقاد (يا نديم الصبوات) صفحة ١٤٤ وقد راسلنا أحد الادباء يخبرنا أن الاربعة الابيات الاولى من هذه القصيدة مسروقة من كتاب ألف ليلة !! ونحن لم نقرأ هذا الكتاب الا في الصبي ولا نذكر الآن كل ما فيه من الشعر المبتذل ، ... فان صح أن العقاد سرق منه فقد أدرك شهرزاد الصباح . . .

في هذه الصفحة ١٤٤ أبيات حسنة يشير بها الى معنى جميل ، وهو أن الحبيب الذي أوتي الجمال في وجهه لا يأتي له، أو لا ينبغي له، أن ينتحل الوقار و يتظاهر بالغضب والتعبيس والقطوب فيقول :

واخدع جليسك بالقطوب فانني	أنا لا أغر بضاحك متكبر
هيهات توليك الطبيعة مسحة	عما تروم من الوقار المفترى
أنتم مباسمها وفيكم تنجلي	للناس ضاحكة كأن لم تكدر
ما للطبيعة حين يضحك ثغرها	ضحك سوى الوجه الصبوح المزهر

والقصيدة كلها مبنية على هذه المعاني كأنها ثرثرة طويلة حول كلمة أو كلمتين ومع أن هذه المعاني كثيرة في الشعر الاوروبي حتى انك تجدها بخاصة في كتابات أناتول

فرانس حتى نمكن أن تعد مذهبا من مذاهبه . فعنده أن المرأة الجميلة (تناقض طبيعتها) إذا لم تكن للجميع تحفة من تحف الفن ، وما أدراك ما « الفن » عند هذا النابغة الحيوانى - على أن أصل المعنى فى شعر ابن الرومى ، وقد تفنن العقاد هذه المرة فى السرقة ، وكان لصاً كاملاً « الحافظ » وأصاب مخنقة فيها خير

يقول ابن الرومى فى ممدوحه يستعطفه ويستميل وجه رضاه :

بوجهك أضحى كل شىء منورا وأبرز وجها ضاحكا غير غاضب
فلا تبتذله فى المغاضب ظالما فلم تؤت وجهاً مثله للمغاضب

هذا هو كلام العقاد بعينه نقله الى الغزل وتصرف فيه ومع ذلك جاء مضطربا نازلا عن الاصل المسروق منه.

يقول العقاد لحبيبه (واخدع جليسك بالقطوب فانى أنا الخ) فمن جليس الحبيب غير محبه؟ كأنها مومس لها كل ساعة جليس . هلا قال « واخدع سواى بذا القطوب » !!!

ويقول فى البيت الثانى (الوقار المفترى) بصيغة اسم الفاعل . والمفترى الوقار هو الحبيب لا الوقار يفترى نفسه . فيجب أن تكون الكلمة بصيغة اسم المفعول مفتوحة الراء ، وبذلك تسقط القافية . والبيت الثالث (أتم مباسمها الخ) مع أنه من قول ابن الرومي ، ولكنه كذلك من قول الآخر :

لقد حسنت بك الأيام حتى كأنك فى فم الدنيا ابتسام

وفى البيت جعل الطبيعة مضحك فى الحبيب ، فهو اذن ثغرها . ولكنه فى البيت الذى يليه جعل الحبيب ضحكا فى ثغر الطبيعة . فنقض على نفسه وكل هذا قد سلم منه بيتا ابن الرومى كما رأيت . وقال المراحضى فى صفحة ٢١٣

ياليت لى ألف قلب تغشاك عن كل قلب
وليت لى ألف عين تراك من كل صوب

يالطيف بالطيف . يدعو الرجل على نفسه بالمسخ والتشويه وان يجعله الله (من فوق لتحت) رقعاً من العيون فاذا أصيب مرة بالرمد جاؤوه بعربة سباخ محملة من (الششم) أو بعربة رش مملوءة من محلول البوريك وبحمار محمل قطناً . فانه لا يكفى ألف عين أقل من ذلك . ولم هذا كله ؟ ليسرق العقاد بيتاً واحدا من الشعر فيجعله بيتين ويسقط

هذه السقطة ويضحك الأدباء من غباوته . ومعنى البيت الأول أن لهذا المخنث الذى يحبه العقاد ألف عاشق فاذا كان لابد له من ألف عاشق ولا يقنع إلا بألف، فالعقاد يتمنى أن يكون له ألف قلب ليقوم وحده مقام الألف . وانظر أى سخف هذا . ثم يريد أن يكون له أيضا ألف عين لينظره من ألف جهة . فاذا صح أن الحبيب المخنث يجد له ألف قلب تحبه فهل يصح فى العقل أن الجهات ألف . . ؟ أم يظن العقاد أن تخرج عينه وتجرى وراء الحبيب فاذا كان هذا الحبيب فى حلوان ثم رجع إلى القاهرة ثم كان فى عماد الدين ثم مر فى كل الشوارع ، خرجت عيون صاحب مرحاضه تجرى وأرسلت اليه النظر بطريقة لاسلكية ، فيكون حيث هو ملقى، ومع ذلك يرى حبيبه فى كل مكان ؟

والله لو قال العقاد كل بديع مبتكر ثم قال هذا السخف لسقط ، فكيف وهو لص سارق يسرق من أبى على الحاتمى قوله المشهور :

لى حبيب لو قيل لى ماتمنى ... ماتعديته ولو بالمنون
أشتهى أن أحل فى كل قلب ... فأراه بلحظ كل العيون

قابلوا أيها القراء واحكموا . انكم إن تحكموا على صاحب مرحاضه الا بالجلد ثمانين جلدة على الأقل

ويقول المراحيضى فى صفحة ٢٥٥ :

كيف لقلبى أن لايحبك يا ... خدر نعيم يوشيه حافل
لا أنا أعمى فأستريح ولا ... أنت من الحسن والصبى عاطل
بأى معنى عليك لاتعلق العـ ... ـين وأنت المبرأ الكامل

مرة يتمنى أن يكون له ألف عين ومرة يتمنى أن يكون أعمى فيستريح ، ولا نعلق على هذه الأبيات بشىء . فاننا لانظن أن فى أهل الذوق من الشعراء وأهل الحب من المتأدبين من يقول لحبيبه (لا أنا أعمى ولا وجهك قبيح فكيف لا أحبك ؟) . فالعقاد هو الذى جاء بهذا المعنى. أما الشعراء فيقولون كما قال صاحبهم :

ياحبيباً كله حسن ... لمحب كله نظـــر

ومما هو من باب هذا العمى الشعري قول صاحب مرحاضه فى صفحة ١٥٦ .

كأن ما ~ فى ماركبت ... إلا لترعاك أو تأملا

يعنى أو تعمى كما يأفل النجم ونعوذ بالله . ويريد من معنى ترعاك تراك وهو غلط

نبهنا على مثله فيما تقدم . والبيت بعد هذا كله مكسور ينقصه حرف في أول الشطر الثاني . وفي هذه الصفحة .

قبيح بعيني أن تنظرا ... ولكن لعينيك أن تقتلا

وهو من قول ابن الرومي مسخه العقاد أقبح مسخ

عيني لعينك حين تنظر مقتل ... لكن عينك سهم حتف مرسل

ومن العجائب أن معنى واحداً ... هو منك سهم وهو مني مقتل

والعقاد يكثر في شعره من معنى واحد يرقعه في كل مكان برقعة جديدة ، وهو أن الحسن يدعو الى الحب بل الى الخطيئة وان مايدعو العاشق من المعشوق هو الذي ينهى المعشوق عن العاشق . وكل هذا من قول المعري

مابال داعي غرامي حين يأمرني ... بأن أكابد حر الوجد ينهاكا

وقول ابن الفارض :

والى عشقك الجمال دعاه ... فالى هجره ترى من دعاكا

وقول ابن الرومي :

لها ناظر بالسحر في القلب نافث ... ووجه على كسب الخطيئات باعث

وقد مرت الاشارة الى بعض هذا المعنى في السفود الأول فلندع كل ماجاء فيه من شعر العقاد وفي الصفحة عينها ١٥٦ يقول المراحيضي

ولح أنت في صحراء الزما ... ن نهراً يهيج الصدى سلسلا

حرك الحاء من الصحراء وهي من أقبح الضرورات . بل لامعنى لها . وكان يستطيع أن يقول : ولح فوق صحراء هذا الزمان ، ويقول بعده

فان قاربتك شفاه الظماء ... عجبت وأعجب أن تجهلا

والمعنى أن جمال هذا الحبيب كنهر في الصحراء يهيج ظمأ من يراه فان دنت منه شفاه الظامئين عجب من دنوها . والاعجب أن يجهل . يجهل ماذا ؟ إنها كلمة من الحشو وكان عليها أن تمنع لا أن تجهل .

ثم الصحراء اذا كان فيها (نهر) لم تبق صحراء فان كان يريد السراب الخادع فهذا يهيج الصدى ولكن لايمكن أن تقربه الشفاه لانه تخييل . فالمعنى فاسد من الناحيتين كما ترى والصواب قول ابن الرومي :

كلامك أكذب من يلمع   بخيله بالضحى محصح

وفى آخر هذه القصيدة يقول المراحيضى :

لقد كان وجه الثرى جنة   من القبح لو من جمال خلا

إن كانت (جنة) بفتح الجيم فلا ندرى كيف يكون وجه الارض جنة من القبح لو خلا من الجمال ، إذ لا يمكن أن توجد جنة من القبح الا فى وهم مثل هذا الرقيع الفاسد التخيل ، وإن كانت بضم الجيم بمعنى الوقاية فهذا أشد فسادا من الاول .وان كانت بالكسر بمعنى الجن فالمعنى مضحك ويكون هكذا : لقد كان وجه الارض جنا لو خلا من الجمال . وعلى كل حال فالخلا من الجمال فهو بالطبع من القبح ، فماذا يريد المراحيضى أن يقول؟

وفى صفحة ٢٩٥ :   أراك باكية وأنت ضياؤه   ونعيم عيشى كله بيديك

وعزيزة تلك الدموع فليتها   يقنو قطيرتها نظيم سليك

قطيرتها مصغر قطرتها وسليك مصغر سلك ويقنو يكون لها قنوا كقنو الموز وهو العود ألذى تنبت فيه أصابع الموز والمعنى أن دموعها عزيزة ليت لها سليكا يكون قنوا لقطارتها . . ولم يبق لتمام المزبلة حتى يحضر خادم هذا الطلسم الا أن يقول المراحيضى بعد ذلك

فيجىءُ جَلَنْجَلٌ جَلَنْجَلُوتٍ جَلَنْجَلَتٌ   يَضَعُ القُطَيْرَةَ فى السُّلَيْكِ لديكِ

وقال فى صفحة ١٠٦ :   ونهراً كمرآة مهجورة   على وجهه من جواها الشرر

يصف النهر فى الشتاء لأن رعدة النسيم تجعد وجهه ولكن لا يكاد أحد يفهم كيف يكون على وجه النهر أثر من جوى المرآة المهجورة ؟ فالصواب على وجهها أى وجه مرآة المهجورة . ويبقى أن مرآة المهجورة لا يكون على وجهها من جوى هذه المهجورة شىء لأنها مرآة من البلور لامن اللحم والدم حتى يمكن أن تظهر فيها صفرة ونحول

أمثال إيه المعنى يا ترى ؟ المعنى يعرفه هذا اللص ولم يستطع نقله كعادته دائماً وهو للخالدى الكبير يصف البدر وقد غشاه غيم رقيق فيقول :

والبدر منتقب بغيم أبيض   هو فيه بين تخفر وتبرج

كتنهد الحسناء فى مرآتها   كملت محاسنها ولم تتزوج

هذا هو الوصف التام البديع لأن الحسناء التى كملت محاسنها ولم تتزوج متى رأت

جمالها فى المرآة تنهدت فيغشى المرآة غيم رقيق يلوح وجهها من تحته كالبدر فى نقاب الغيم . أما بيت العقاد فهيهات أن يفهمه أحد الا إذا وقف على هذا الاصل فيفهمه حينئذ ليرميه فى وجهه و يقول له (غور ياشيخ)

فى ديوان هذا المراحيضى ابيات منسجمة حسنة السبك كأنها من سائر شعره بقايا مبنية فى خرائب متهدمة . واكثر شعره ركيك يلتوى فيه المعنى أو يضطرب السبك أو يقصر اللفظ عن الأداء فاما ظهر الكلام غامضا لا يفهم او ناقصا لا يبين أو معقدا لا يخلص واما جاء لغواً وهذيانا او قريبا منهما وعلى هذه الوجوه أكثر شعره .

و السبب فى ذلك تعويله على السرقة والترجمة واجتهاده فى اخفائهما ولا يكون اخفاء السرقة الا بتحويل المعنى أو النقص منه وقلما يفلح العقاد فى هذه الناحية لانه لا يستطيع ان يزيد فى المعنى المسروق أو يجىء به أحسن من أصله كما عرفت فى كل ما اوردناه من سرقاته فكلها نازل منحط . أما إخفاء الترجمة فيكون بالتصرف فيها وبهذا يفقد المعنى جماله الشعرى أو الفلسفى او البيانى ويجىء كالمعنى المسروق مضطربا ناقصا عجباً الوجه كيلا يعرف فضلا عن أن ترجمة الشعر الاورباوى شعرا عربيا قلما تخلص إلا للافذاذ من أهل البيان العربى و القادرين على اخضاع هذه اللغة والمتمكنين من أسرار ألفاظها و الموهوبين فى أدمغتهم عقولا بيانية وليس فى العقاد من هذا كله شىء وهو يعرفه ويقر به ولا يكابر فيه لانه لا يدعى انه (جبار ذهن) الا من الناحية العقلية المحضة ويحتسب هذه العقلية شيئا غير البيان وهنا موضع من مواضع جهله فان شكسبير او غوته او شلر او بيرون او شيلى او هيجو او طاغور او سواهم من جبابرة الأدب فى العالم لم ينبغ بهم العقل المحض بل العقل البيانى وحده اى العقل المخلوق للتفسير والتوليد وتلقى الوحى وأدائه واعتصار المعنى من كل مادة وادارة الاسلوب على كل ما يتصل به من المعانى والآراء لينقلها من خلقتها وصيغها العالمية الى خلق انسان بعينه هو هذا العبقرى . فكل الذين ينكرون على البيان والاسلوب واللغة من العقاد وأمثاله انما يفضحون جهلهم و تقصيرهم ويثبتون انهم فى غمار الناس وانهم لا يصلحون للعبقرية الادبية ولا تصلح لهم أو لا تصلح بهم . وبما علمت من ضعف العقاد فى هذه الناحية تعلم السبب فى ركاكته وتعقيده وانه لا يفلح لا مترجم شعر ولا سارق

شعر مع أن تعويله إنما هو على الترجمة والسرقة وعلى إفسادهما لاخفائهما، فكل ما أصبته فى شعر هذا المراحيضى من معنى معقد او نظم ملتو أو بيان ناقص اوسبك غير مخلص فاعلم ان هناك موضع ترجمة او موضع سرقة لابد من احدهما . ولا تتخلف هذه القاعدة فى شعر العقاد مطلقا وهي مفتاح سر من اسراره قد وضعناه فى يدك .

ونعود فنفتح الديوان . يقول صاحب مرحاضه فى صفحة ١٥٨ :

سفاها لعمرى عدنا الخطو بعده   اذا كان لا يدنو بنا من مؤمل

يريد العام الجديد ومع هذه الركاكة فقوله (سفاهاً) لحن ويجب ان تكون مرفوعة لانها خبر مبتدإ . قوله « عدنا الخطو » ولكن الخبر اشتبه عليه بالمفعول لاجله فنصبه

وفى هذه الصفحة يقول :

دعونى أسر فى ساحة العيش مفرداً   مغمى فلا أدرى مصيرى وأولى

هنا يريد العقاد أن يكون كبهيمة الساقية أو دابة الطاحون يسير (مغمى) مغطى العينين وهم يفعلون ذلك بالبهيمة حتى لا ترى أنها تضرب فى دائرة لا تعداها فتقف بل تظن أنها سائرة سيراً طويلا مطرداً مع أنها طول نهارها فى جثمة أمتار .

والمعنى عجيب يلائم ذوق المراحيضى ولكن اذا غمى هذا المراحيضى وعمى عن المستقبل والمصير فهل تراه يعمى عن الماضى ؟ أم هو يريد أن يسلبه الله الذاكرة أيضاً ! . . .

ويقول فى صفحة ١٥٣ :

يخاف بعضهم بعضا ويمنعهم   دونى مغافر أقذار وأقذاء

يريد شبان مصر ! وقد فسر المغافر فى الشرح بالدروع وما هى بها بل المغفر ما يجعل أسفل البيضة على الرأس من زرد أو ديباج أو خز أو غيرها ليقى الرأس من حديد البيضة . ومن هذه المادة الغفارة بالكسر ـ خرقة تلبسها المرأة فتغطى رأسها وهى (الطرحة) عند العامة . والعقاد يستعمل المغفر دائماً فى معنى الدرع وهو جهل عجيب .

وهو فى البيت الذى أوردناه يسب نفسه من حيث لا يدرى لأنه اذا كان شبان مصر يمنعهم دونه دروع أقذار وأقذاء ، فهذه الدروع لا تكون إلا عليه هو لانهم يقفون (دونه) ولا يقتحمونه لمكان هذه الدروع التي تحميه منهم وتمنعهم من دونه ، مع انه يريد العكس وانهم هم الممنوعون منه وهو الممتنع دونهم .

والمعنى أن مقاذرهم تحميهم فلا يمد المراحيض يده إليهم لئلا يصيبه منهم القذر وهو معنى بارد ولم يحسن سرقته كعادته فانه من قول القائل :

نجا بك عرضك منجى الذباب حمته مقاذيره أن ينالا

فياشبان مصر هكذا يصفكم العقاد ويشبهكم بالذباب الذي يشمئز الانسان أن يناله بيده وإن هاجمه

وقد نبهنا تفسير هذا اللغوى العظيم !! للنخاز بالدروع الى تتبع بعض شروحه اللغوية فى ديوانه فاذا الرجل لغوى جرائد كما هو كاتب جرائد وشاعر جرائد وفيلسوف جرائد وسباب جرائد . وهو فى كل ذلك لايساوى إلا مايبلغ ثمن جريدة بضع مليمات . فنشر فى صفحة ٢٤ : السوارى: فقال إنها العمدان وهذا الجمع فى لغة العامة لاغير وفى صفحة ٢٧ يقول « يا للسماء البرزة المحجوبة » وفسر البرزة بقوله « البارزة الحسنة » والكلمة فى جملة معانيها ترجع الى المرأة التى تبرز الى رجال تجالسهم وتحادثهم ولاتحتجب عنهم لقوة رأيها وعفافها وجلالها فى قومها أو لبروز محاسنها فترى أن لاتسترها كما كانت عائشة بنت طلحة . ولا معنى أن تكون السماء (برزة) لانها لاتكون الا برزة وفى هذه الارجوزة يقول فى وصف السماء « كأنها الهاوية المقلوبة » ولامعنى (الهاوية) مع (مقلوبة) إذ هى حينئذ لاتهوى بقرارها، وانما ترتفع به فلا تسمى هاوية فضلا عن أنه لايدخل فى التصور أن تكون الهاوية مقلوبة والمعنى مسروق من وصف تركى مشهور يشبهون فيه قبة السماء بالكأس المقلوبة وهو تشبيه بديع ووصف منطبق فظن المراحيضى أن السماء لكونها أكبر من الكأس !!! لا يحسن فى تشبيها الا الهاوية . ولكن أين الصفاء والنور وهما من وجوه الشبه فى الكأس إذ تشبه السماء الزجاج — ولا صفاء ولانور فى الهاوية إذ هى إنخساف فى الارض كانخساف عقل المراحيضى الذى لايميز فى التشبيه بين الكأس والهاوية

فى صفحة ٣٩ يقول فى الشرح : خلق لكل عضو قرين فى الجسم الا القلب فانه منفرد لايكمل الا بقلب آخر . وهذا كذب ولكنه صدق فى العقاد وحده لأنه رجل ذو وجهين !!! وذو لسانين !! كما يعلم من يعلم . وفى صفحة ٤٢ يقول الدساتين جمع دستان وهو الوتر (وتر العود ونحوه) وإنما الدساتين هى هذه الخشبات

التى تلوى عليها الاوتار ويسميها أهل الصناعة (الملاوى)

وفى صفحة ٤٣ يقول فى شرح هذا البيت

والشعر ألسنة تفضى الحياة بها   إلى الحياة بما يطويه كتمان

فيقول فى الشرح : إنما يتكلم الشاعر ويسمعه السامع بالحياة المستقرة لا كل منهما (فهل يتكلم الميت) ؟ . فكأن الحياة إنما تخاطب نفسها !!! بالشعر !!! (وتخاطب من بالنثر ياصاحب مرحاضه ؟) والحياة بغير الشعر جميلة ولكنها كالحسناء الخرساء والشعر يدوم مادامت الحياة فى الانسان أو غير الانسان !!! (فالحمار شاعر مثل العقاد مادام كلاهما حيا وبرهان أن كليهما شاعر هوان كليهما حى) وأن صرير الجندب ونعيق الضفدع فى الليلة القمراء لهما ضرب من الشعر لأنهما تسان ما فى الجندب والضفدع من حياة وجمال !!! (وكذلك نهيق الحمار ضرب من الشعر الخ الخ) أنظر أيها القارىء أى شرح هذا وأى بيت ذاك وكذلك يفعل المراحيضى حين يعجز عن ابراز المعنى فيعمد الى الشرح بمثل هذا الهذيان الفلسفى الذى يغر تلاميذ المدارس وبعض كتاب الجرائد والمعنى الذى يريده العقاد مسروق من المتصوف فان الصوفية يقررون فى كلامهم كل ماجاء فى هذه القصيدة من مثل هذه المعانى حتى قال بعضهم : لا يكمل المريد حتى يكون ما يسمعه من نهيق الحمار كالذى يسمعه من دراخل المغنين (١)

---

(١) كلمة دواخل هذه من الكلمات العامية القديمة التى أميتت وكانوا يريدون بها مشاهير المطربين ومنها قول الشيخة زعزوعة زجالة مصر فى عهدها وهو من أقدم الزجل

دواخل مصر فى قاعه   حداهم بنت جنكية
وزعزوعة ترقصهم   على شامى وشامية

فحبذا لو أحييت هذه اللفظة فان فيها معانى نفسية ظاهرة وان كان اصل اشتقاقها بعيدا عن ذلك :

قال صاحب شفاء الغليل : والمحدثون يسمون حسن الصوت دخولا ويسمون ضده خروجا ، كأنه لخروجه عن الايقاع والضرب ، وهذا عامى صرف . ثم قالوا داخل ودواخل واطلقوها على المطربين ، ومايسمى خروجا هومايسميه كتاب اليوم نشوزا

وفي صحيفة ٣٧ يفسر : والروض بالاثمار فينان . قال فينان مثمر ولا معنى للشعر هنا ولا هو ما تعطيه المادة لان الفينان الطويل كالشعر والغصون وما اشبهها .

و في صفحة ٥٤ يقول : الخوف فيها والسطا سيان . ضبط السطا بضم السين وفسرها بأنها جمع سطوة ولعلها جمع جبهة او جمع غفلة !!! لا جمع سطوة . وهذه السطا يكررها العقاد ولا أصل لها في اللغة

وفي صفحة ٦٤ يفسر الموق (موق العين) فيقول : الموق الحدق فغلط في هذه الكلمة غلطتين لان الحدق جمع حدقة ولا يكون الموق عيونا كثيرة . ثم ان الموق هو طرف العين مما يلي الأنف وهو الذي يجري فيه الدمع فما هو بالحدقة فضلا عن الحدق .

وفي صفحة ٧٢ يقول في وصف الزهرة (النجم) :

أشعة ينبثق شتى كأنها عذق ياسمين

أراك تغريني بوحي إلى السموات يزدهيني

الرواء ذات الدلال صبت في شرفة المعقل الحصين

فسر العذق بانه فرع . والعذق لا يقال الا فيه زهر . فعذق النخلة (سباطتها) وكان يجب ان يقول كأنه الغصن بالمعنى . ولكن من بلادة ذوق هذا الرجل تراه يستعمل ألفاظاً كثيرة يتباصر بها كأنه من المولعين بالغريب وما به ذلك ولكن به ان يعلم تلاميذ المدارس ومحرر و الجرائد انه لغوي عظيم والتجاء بالألفاظ الجافية والمهجورة أو المماتة . وله من هذا كثير بارد سخيف .

وشرح البيت الثالث فقال : كأن الزهرة وهي تلمع للناس من أعلى السماء وتغويهم الصعود اليها !!! حسناء تصبي اليها المارة من أعلى حصن !!! ودون الوصول اليها حراس وأسوار !!! فنا ومع ذلك فيمكن دك الحصن وأسواره وقتل حراسه والوصول اليها فهل يمكن ذلك الصعود الى الزهرة ؟

الحقيقة والله ان العقاد في منتهى السخف وان فيه روحاً ثقيلة ركيكة لا ندري أضربت على جسمها أم ضرب جسمها عليها ؟

وفي صفحة ٩٢ يقول : الوادي الجديس . ويفسره بأنه المجدب ولم يرد في اللغة الا الجادس بهذا المعنى . ولكن العقاد يتصرف كأن اللغة أخبار تجيئه للنشر فهنا يقول

فى جادس جديس وفى صفحة ٧١ يقول فى صدى، (صادى،) « هيهات تصقل، صادتا » فما عليه بعد هذا أن يقول حاسن فى حسن وجامل فى جميل وهكذا.

وفى صفحة ١٣٩ يقول : «يبنيك الملوك وصالا»، وفسر وصالا بقوله متواصلين. فيكون جمع ماذا ؟ جمع واصل أم جمع وصل اشتراك !!! ومن الذى يقول قوم وصال. أى متواصلون غير العقاد المراجيعى ؟ وفى صفحة ١٤٥ يقول

صفه فى عينى وما تعدو به وصف الاضاءة

فسر الأضاءة بأنها المرآة وإنما هى الغدير يعكس ماؤه ما يرى فيه وظاهر أنه لا يريده فى بيته بل يريد المرآة وأين المرآة من الغدير ؟ وفى صفحة ١٦١ يقول . ولشتقنا الحياة دوالياً ، وفسرها بالتداول و لا معنى لها الا فى ديوانه !!!

وفى صفحة ١٦٥ قال : «حسن النجوم فى الافق تترى» وفسر تترى فقال تتوالى. يعنى أنها عنده من ترى يترى فهو تار أو ترن ترن !!! ما هذه المخازى اللغوية يا صاحب مرحاضه ؟ إن تترى اسم ممنوع من الصرف لا فعل مضارع ، قال الراغب فى مفرداته فى معنى قوله تعالى « ثم أرسلنا رسلنا تترى » : تترى على فعلى من المواترة أى المتابعة وترا وترا وأصلها واو فأبدلت نحو تراث وتجاه (١) . فمن صرفها جعل الألف زائدة لا للتأنيث ومن لم يصرفها جعل الفه للتأنيث. وقال الفراء يقال تترى (بالتنوين) فى الرفع وتترى (بالتنوين) فى الجر وتترى (بدون تنوين) فى النصب والالف فيه بدل من التنوين .

فيا صاحب مرحاضه مالك والشرح واللغة وأنت لا تفرق بين الاسم والفعل فى كلمة مشهورة واردة فى القرآن الكريم . أما والله لقد خرج شرحك على ديوانك كشرح أبى شادوف !!

وقد سئمنا هذه الأغاليط فنقف منها عند هذا الحد . و من عامية هذا العقاد أنه يستعمل فى نظمه عمدان جمع عمود ورجل عميان أى أعمى وشعلان من شعل وسأمان من السأم وعزفان وكظان من الكظة وخيطان جمع خيط و كل ذلك عامى لا يعرف فى اللغة وله مثل هذا كثير

---

(١) يريد ان أصلها من وتر فابدلت الواو تاء كما فى تراث وهو من ورث وتجاه وهو من وجه

ولنفتح صفحته أيضا . قال المراحيضى فى صفحة ١٢٤ يطلب صورة حبيبه :

آه لو يقرب البعيد وآه لو تدانى البعيد من أوطارى
أأقاسى بعدين بعدا من اليأ س على قربكم وبعد الديار
يا حبيبى وهل يكون حبيبا من بلائى بحبه واشتهارى

برد القلب الخ ...

برد ياحبيب المراحيضى برد فما أنت والله الأبرد منه!! ما أنت إلا لوح ثلج (يابعيد) ألا تراه يقول "آه لو يقرب (البعيد) .. ليت شعرى كيف خذلت العقادعامّيته الأصلية فى هذا مع أن النكتة فى (البعيد) ظاهرة كل الظهور ؟

ثم يقول إنه يقاسى بعد اليأس على ان الحبيب قريب وبعد الديار فكيف يكون قريبا مع بعد الديار ؟

ان هذا ينقض ذاك . والمعنى مسروق محول من قول ابن الرومى فى الرثاء

طواه الردى عنى فاضحى مزاره بعيدا على قرب قريبا على بعد

والمراحيضى يذكر بعدين سخفين لان اليأس ليس بعدا بل اذا كان كما قالوا إحدى الراحتين فهو ولا جرم أحد القربين او احد الوصلين . وقد أخذ هذا من قول الشاعر المبدع الذى يعرف الحب ويعرفه الحب

يا غائبا بوصاله وكتابه هل يرتجى من غيبتيك إياب

آه لو كان هذا الشاعر قال :

« أفما لاحدى غيبتيك إياب » لجن العشاق بكلامه .

والبيت الثالث للمراحيضى فى نهاية الركاكة وأصل هذا المعنى فى قول الأرجانى :

اذا رمتم قتلى وانتم أحبتى فما ذا الذى أخشى اذا كنتم عدى

وفى صفحة ١٧٥ يقول :

لازمتنى فى جفوتى وتسهدى طيف يساور أو سواد عابر

وهو لحن اذ يجب أن يقال طيفا وسوادا عابرا ولا سبيل غير ذلك لانهما بيان الحال الملازمة فى النوم والسهد . ثم اذا لازمه حبيبه طيفا فى نومه فما معنى « سواد عابر » فى السهد والارق ؟ يكونش العقاد يتغزل فى خفير الحارة !! ؟ لانه وحده السواد العابر طول الليل فى يقظة المراحيضى

وفى صفحة ٦١ يقول :

فطلع لابنى عن البدر طرفه فقلت حياء ما أرى أم تغاضيا

وهو لحن إذ يجب أن يقال حياء أم تغاض بالرفع لا غير لتتم الجملة التى هى مقول القول .

وهذه القصيدة كلها معان ممسوخة ولذلك خرجت من أبرد شعره أنظر قوله .

وأثنيه كيما أبرد غلتى وهيهات لاتلقى مع النار راويا

يريد أن تعرجيبيه ناركأن حبيبه هذا فرن !!! أين هذا من قول ابن الرومى :

أعانقها والنفس بعد مشوقة اليها وهل بعد العناق تدانى

وألثم فاها كى تزول حرارتى فيشتد ما ألقى من الهيمان

وما كان مقدار الذى بى من الجوى ليشفيه ماتلثم الشفتان

كأن فؤادى ليس يشفى غليله سوى أن يرى الروحين تمتزجان

هذا وأبيك الشعر والبيت الأول وحده بخمسة وعشرين عقاداً وقد مسخه هذا المغرور فى قصيدته أيضاً .

ونقف عند أبيات ابن الرومى حتى ليفرغ القارىء من نورها على روحه فترفض عنها أقذار شعر المراحيض فإن كلام هــذا الثقيل لوظفرت به الكيمياء الحديثة لأخرجت منه غازات ملوثة . وغازات مقيئة وغازات للصداع وغازات خانقة . والعقاد يعلم بعد الآن أنه فى شعره ومقالاته كالمستنقع فى قرية . وهو إن كان عند نفسه أقيانوس القرية وصبيانها !!! ولكنه ليس كذلك لافى العلم ولافى الحق ولا عندغير الصبيان ، ولاينفعه شيئاً أن يستدل على أنه أقيانوس بتلك البواخر العظيمة التى يسميها بواخر ويسميها الناس ضفادع . . . . .

***

(العصور) أعجب الأدباء على اختلافهم ــ ماعدا العقاد طبعاً ــ بهذه السفافيد التى لم يكتب مثلها فى باب النقد ، والحوا علينا فى طبعها كتاباً على حدة وسننزل على رغبتهم ونصدر كتاب السفود قريباً خاصاً بالعقاد وحده مفتتحاً بمقدمة طريفة بقلم العقاد نفسه !!! وأخرى لكاتب السفود وثالثة لصاحب العصور . ونحن واثقون أننا بذلك نخدم الأدب العربى خدمة لم يؤدها أحد قبل الآن ولا يرجى أن يتحول ويتجدد إلا بها ، لأنها من جهة تصحح أحكام القراء وتضع فى أيديهم الميزان الصحيح للنقد ، ومن جهة أخرى تبصر الأدباء بعيوبهم التى أعماهم عنها الغرور .

هل ارتقى الانسان ؟

كد المرء عقله في استجلاء غوامض الكون ، واستفرغ قواه في استيعاب خفايا الطبيعة ، فأصاب في كثير مما سعى اليه ، فقد امتلك ناصية الهواء ، وغاص في عباب الماء ، وسابق الريح على أديم الغبراء ، واستحدث لنفسه كل أسباب الترف والرفاهية ، وتمتع بلذائذ العيش ، دافعاً عنه عاديات الحياة ، حتى استقام له كل أمر في دنياه ، فوقع في خلده انه أصاب من الرقي أروعه ، ومن التقدم أعظمه ، ومن المدنية ما فاق أمنية المتمنى .

ولو تدبرنا مليا ما يقع تحت انظارنا ، وتأملنا في تأثير مستنبطاتنا واختراعاتنا ، لبدا لنا ان ما نحن فيه ، ليس حضارة ولا تقدماً ، بل لا نغالي اذا قلنا انه بدء انحطاط ورجوع القهقرى ، لان الرقي الحقيقي الذي يجب أن ننشده ، يكون في نفسيتنا ، لا في المادة التي نمتلكها ، فهل تهذبت نزعاتنا ، ورقت عواطفنا ، وسمت ميولنا ، عما كانت عليه منذ فطرنا ؟

هذا سؤال يبدو لاول وهلة غاية في الغرابة ، لان ما من أحد أحاط بأحوالنا الاجتماعية ، واستوعب دقائقها ، واستظهر بواطنها ، الا وهز كتفيه استخفافاً به ، ولكن الذين لا يؤخذون بالظواهر الخداعة ، بل يتطلعون الى الجوهر ، دون احتفال بالعرض ، يؤكدون ان نفسية الانسان لم تتقدم قيد أنملة ، عما كانت عليه ، يوم كان اسلافه يقطنون الكهوف والمغاور ، بل بالضد يرون انها قد دنأت وانحطت عن ذى قبل .

ولما كانت فعال المرء نتيجة عوامل خفية ، رأينا أن نبدى ما استتر من كوامن نفسه ، ليتسنى لنا اماطة اللثام عن تلك الدوافع التي تعمل في نفسه . على استقرار الغرائز الهمجية ، رغماً عما يبدو في ظاهره من الرقي والمدنية .

النزعة الحيوانيـة ، والنزعة الانسانيـة

للانسان نزعتان : نزعة حيوانية ، ونزعة انسانية ، فالاولى غريزية فيه ،

تكون فى نفسه منذ نشأته ، و تلبث مالكة قيادة ، دون منازع ، كل زمن طفولته ، حتى اذا نضج عقله ، و نمت مداركه ، وحسنت تربيته ، تولدت فيه النزعة الانسانية ، فتأخذ الاثنتان فى عراك وصدام ، لتباين مراميهما ، و تنافر اغراضهما ، فتعمل الحيوانية على اطلاق الاهواء من عقالها ، وحل إسار الميول و انالة النفس ماتصبو اليه وتشتهيه ، دون تقيد بعرف ، ولاتهيب لامر ، وتسعى الانسانية الى حبس دوافع المرء ، وكبح جماح اهوائه ، و تلطيف مراميه ، و تهذيب غرائزه ، حتى تجعله المثل الاعلى لكل حسنة و محمدة .

و لما كانت النزعة الحيوانية متأصلة فى نفسه ، مستكنة فى جوانحه ، مسيطرة على اهوائه ، كانت الغلبة لها ، لانها وليدة العواطف ، والعواطف وثابة جموحة ، اذا إستثيرت ، و هى تثور لأوهى سبب ، لاتعبأ بعقل ، و لاتتقيد بارادة .

و اذا عدمت سيطرة العقل كان دليل المرء اهواؤه ، و بئس الدليل هى ، اذ تقوده بعنف و شدة الى الأثرة التى هى أس شقاء الانسانية ، ورأس بلائه ، فالمرء نزوع بطبيعته الى الانانية ، وكل مايبدو منه فى مختلف أطوار حياته ، رائده حب الذات ، فاذا تحررت هذه الغريزة من قيد العقل صيرت الانسان وحشاً كاسرا ، لايلذ له غير اتيان المنكرات ، واقتراف الموبقات.

و نرى أ كثر العقول رقياً ، تفقد ذاتيتها عند ثوران النزعة الحيوانية ، دون أن تجد من النزعة الانسانية عضداً يشد أزرها فى محنتها ، لان النزعتين نقيضتان ، لايمكن الجمع بينهما ، فتلك تسعى الى حل إسار النفس و نزع قيودها؛ وهذه تعمل على غلها و كبح جماحها

فالنزاع بينهما مستمر ، لاراحة للواحدة الا اذا تغلبت على الاخرى ، فاذا ما سيطرت احداهما ، ولت الاخرى مدبرة . ولا تعود الا اذا خذلت خصيمتها .

وهكذا يلبثان فى كر وفر ، والانسان بينهما كريشة فى مهب الريح ، لايملك لنفسه قوة ، الا بمقدار ما منح من عقل ، . وما أشد ضعف العقل ، ازاء العواطف ، التى هى شعلة القلب المتقدة !

الانانية هي الانسان

لايكون الانسان إنسانا إلا اذا كان أنانياً ، فالاثرة وحب الذات صفتان متممتان لخلقه . وهما اتجاه في كل أعماله ، وغايته في دنياه .

فلو فحصنا كل مايدومنه في حياته ، لظهر لنا أنه مسوق فيها بحب الذات فعبادته لله عز وجل لايبغي منها غير التنعم بجنات الخلد ، لاحب الخالق لكماله وذاته الآلهية ، واحسانه الى الفقراء والمعوزين لايريد منه غير الثواب الذي يؤهله لان يدخل جنة النعيم .

وقس على ذلك سائر فعاله ، دون أن تستثني منها عملا مهما تافه ، حتى شغف الحبيب بحبيبته فكل منها يسعى الى الآخر لانه يجد فيه المتمم لماينقصه .

وعبثا يحاول الانسان التخلص من هذا الميل الغريزي ،فانه متملك مشاعره، مستول على عواطفه، وما تاريخ المدنيـــة إلا تاريخ مساعي العقل البشري للتسلط على الانانية ،فهل نجحت المدنية في المهمة التي آلت على نفسها القيام بها ؟

نظن بل نؤكد بان المدنية قد صقلت من طباع الانسان ، وهذبت من أخلاقه ، ولكن هذا الصقل والتهذيب ليسا إلا خارجيين ، لم يتغلغلا الى صميمه ولن يتهيأ لهما الوصول اليه لان النزعة الحيوانية لا تغالب . فمهما كد البشر وجدوا وسعوا لادراك مانصبوا اليه نزعتهم الانسانية،فلن يدركوا أربهم .

وما هذه المدنية التي تتراءى لنا بزخرفها ومباهجها الاغشاء رقيق تستتر تحته طباعهم الهمجية التي تدفعهم لاقتراف كل منكر وأتيان كل موبقة . لان مظالمهم بعد ما كانت تجرى اعتباطا دون أن تتخذ لها العدة والعدد ، أصبحت منظمة تقترف بكل تدبير وامعان، فيستعينون على إتيانها بكل ما استنبطته عقولهم من آلات التخريب والتدمير .

وماعهدنا بالحرب العالمية ببعيد. فقد تبدت فيها باجلى بيان طباع الانسان الوحشية و أنانية وأثرته ، ولم تمنعه مدنيته التي طالما تغنى بمحاسنها من اقتراف المنديات التي تترفع عنها الوحوش الضارية ، لان هذه تفترس مدفوعة بعامل الجوع ، وأما الانسان فيقتل تلذذاً بالقتل.

ولا نري الجهود العقلية والمادية التي يبذلها إلا متجهة الى أمر واحد ، وهو (الشر) الذى تبعثه فيه نزعته الحيوانية ، فيوقف كل فرد من أفراده ، ذكاءه وماله وحياته ، على استحداث كل ما من شأنه الاضرار بالغير ، ليشبع نهم أثرته صادفاً عن المنفعة العامة .

ولو أحصينا جهود البشر الموقوفة على استنباط الاختراعات المضرة بالانسانية ، والاموال الطائلة المبذولة فى سبيل التسليح ، لقتل النفوس وتخريب المدن العامرة ، لبلغت تسعة أعشار الرأسمال العقلى والمالى . والعشر الباقى للفائدة العامة التى يرجى منها تخفيف ويلات الانسان .

ان دوافع الانانية تحيي فى البشر كل الغرائز الوحشية ، ولذا لا يأخذن منا العجب عند ما نرى فعال الانسان فى القرن العشرين ، فرغماً عن كل اختراعاته واكتشافاته ، لم تتقدم نفسيته قيد شعرة ، عما كان عليه اسلافه سكان الادغال والمغاور ، بل نرى من تسفل الاخلاق وتدهورها المستمر ، ما يجعلنا نعتقد اعتقاداً راسخاً ، ان الانسان يسير فى طريق التقهقر فى نزعاته وميوله ، ولا يبعد ان يأتى زمن تعفو فيه آثار هذه المدنية الموهومة ، القائمة على دعم النزعة الحيوانية ، التى هى أساس لكل أثرة وانانية ؟

جورجى نيقولاوس

شيطان بنتؤور

« الحادثة العاشرة »

قال الهدهد: جار الاثر، ونجى الحجر، يتطلب فيهما الدين، ويأخذ الخبر، عمن غبر.
لما أصبحت أعدت أمسى فى يومى كما يفعل قومى فباشرت أشغالا لاتنفع، وأخذت بأعمال لاترفع وأكلت كالأمس وشربت كالبارحة ولقيت الوجوه المألوفة وجلست المجالس المعتادة وقرأت جرائد مشحونة الصفحات أكثر مافيها الاعلانات

إذا أنت لم تحيا الحياة كبيرة ولم تتوقد كرا فى البرية خالدا
وعشت تعيد الأمس فى اليوم خاملا فقد عشت يوما فى الحقيقة واحدا

الى أن سرى الأصيل فتنقلت من شاطىء إلى شاطىء، ولفظتنى ضفة إلى ضفة وكنت أخذت من كلمة النسر فى صرف وما رسم له ربه من الوقوف بى على الفسطاط والاشراف بى من معالمها واضطلاعى على مواكب دولة العرب فيها، أن بساط الرؤيا قد انطوى فيما يتعلق بمنف والدول الأولى، وأنا قادمان على الفسطاط مستقبلان وجوه العرب وافدان على هذه الدولة التى وصفها الرشيد ما كانت عليه من انبساط الظل وامتداد النفوذ واتساع الملك والسلطان فى قوله لغمامة ظللته ولم تمطر، وكان يرجو أن يستدفع الحر بمطرها، أمطرى حيث شئت كان خراجك، سوف يجيء إلى، وفى ضوء هذا الفجر سرى الاسبانيون فى أيام دولتهم حيث زعموا الشمس لاتغيب عن أملاكهم ثم زالت هذه الكلمة عنهم الى الانكليز فهى آية ملكهم اليوم ثم ترثها أمة غيرهم، سنة الله فى خلقه يؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء.

(قال) فلما صرت فى منف رأيت الدهر قد جعل عاليها سافلها وصيرها كبعض القرى ولم يبق عليها من انقاض ذلك البنيان الباذخ وبقايا تلك العمارة الكبرى الا آثار هنا وهنا، منها القائم، وكان قاعدا والقاعد وكان قائما وبعضها مشوه فى أحسن محاسنه منقوص من أطرافه أو مفقود تفتش عن مكانه لاتجده فقعدت أعجب للدهر كيف طال على ذلك الطول وعلا فوق تلك العلياء، وأنقضى النظر فأرى قصور الرومان موحشة مهجورة وكانت بالأمس آهلة معمورة أخنى عليها الذى أخنى على

منازل الفراعنة من قبل ، وأنظر أكواخ الفلاحين تموج بنسائهم وصغارهم كبيوت النمل وقد سكنوا الى الدولة القائمة كما سكنوا إلى الدولة من قبلها فأقول فى نفسى هكذا الحكماء والا فلا فلو رد أمير المؤمنين على رضى الله عنه الى الحياة وهو أزهد خلق الله فى الدنيا لما اخذ حقيقة الزهد إلا عن هذه الأمة . بينما أنا أنظر حولى بعين تعتبر وأخرى تستعبر اذا صوت لنسر يستفسرنى اليه فوافيته وكان عند قدمى رمسيس وهو من حجر وعهدته بالامس عند رأسه وهو بشر محتضر . فابتدر خطابى يقول :

ما بال الهدهد يستعبر يبكيه من الايام أن تتصرف بالانام ورحاها تطحن على الدوام وسيفها على رقاب الأقوام فى الحرب والسلام . أنظر يا بنى إلى الحسد كيف حل الأمم على الازراء بالقوم بعد أخذ ثأرهم . والعبث فى ديارهم بعد العبث بآثارهم وهدم البقية الباقية من منازلهم فقاتلوا الحجر وحاربوا الأثر وسبوا التماثيل والصور ودخلوا على الأموات الحفر . ولو استطاعت احداهن أن تدعى صنعا لبعض هذه الآثار لفعلت ولاملأت منها فارس فأثينا فروما فقد صدر عن الرومان انهم كانوا يستعيرون رؤوس التماثيل مما ترك اليونان الاجسام مما صنعت أيديهم وبالعكس ثم يوهمون أن الكل من عملهم وهذا عند ذكر السرقة غاية . أتى على شيطانى يابنى عشرون قرنا يجاور الآثار . ويندب على طلول الديار وهى نهب يد البلى والدمار فلم أعهد أن أيدى العابثين انقضت منها وأكف المخربين انكفت عنها إلا منذ هبط العرب أرض مصر . قلت لنظر القوم يا مولاى . قال وانهم لاهله يابنى فما حكم بين الناس أعدل من عمر ولا سادهم أفضل منه ولئن صدق أن فى القول شيئاً من القائل فعمر هو الانسان الكامل حيث يقول :

« رأيت جميع البر فلم أر براً أفضل من الرحمة » . والرحمة فى اعتقادى أعلى مراتب الاخلاق وقد جازت بعض الانبياء فى بعض الأمر ولم تجز عمر فى شيء منه قلت انى إذن لسعيد يامولاى أن أعلم من أمرهم بالمشاهدة والعيان ما أضيفه الى معرفتى فى التاريخ . قال لا نزال فى إجلالهم ووقارهم والاعتناء بأمرهم والنظر فيما يأتون ويذرون والسكون الى ظلهم فى مصر حتى يقتلوا عثمان ويفتك المصريون منهم بالوقور فى الصحابة الكريم فى الأصهار والسمح فى الخلفاء الكبير فى الشيوخ فاذا فعلوا ودعنا

أيامهم ونبذنا جوارهم ووكلنا الى السماء تأخذهم بدمه فتصب عليهم المصائب وتنزل بهم المحن وتغمسهم فى الفتن وتبدلهم من الخلافة الحقة بالملك الباطل وتردهم الى نعيم الدنيا الزائل

قلت لقد رضيت بما رأيت لى يا مولاى وحسبي أن أعيش يوماً واحداً فى خلافة عمر وولاية عمرو . وقال الآن تهيأ للزيارة ونستعد للخروج الى مقر الامارة فسطاط الأمن والعمارة ضالة عمر والتى طالما نشدها ولم يألها طلبا حتى وجدها

قلت أشبه الناس مسعاة يامولاى فى الزمن الحاضر اللورد كتشنر حاكم السودان بالامس وسيف انكلترا العامل فى جنوب افريقيا اليوم فقد علم الخاص والعام عن هذا الرجل المقدام انه نظر فى أمر فتح السودان وهو ضابط ضئيل الشأن قليل المكان . والامكان ليس له بمثل هذا الأمر العظيم يدان فجعل يعدله الصبر ويعمل له فى السر والايام فى هذه الاثناء ترفعه والسعد الى السعد يدفعه حتى انتهت اليه أمرة الجيش فى مصر وآلت اليه السلطة العسكرية فى هذا القطر وأصبح من رفعة المنصب بين رجال الاحتلال بحيث يسمع صوته فى قومه ومن علو الكلمة فى الحكومة المصرية بحيث لايمانع فى أمر يحاوله فثبت عندئذ وفى نفسه أمر به وتدرج فيما يحاول من السر الى الجهر وكاشف الحكومة الأنكليزية بما يريد من فتح السودان ونشر العلم البريطانى فى ارجائه فكانت مشيئتها ماشاء كدأبها بازاء رجالها الامناء وها قد مضى على السودان عامان يخفق على دور الحكومة فيه العلمان ويخفق من الحسرة عليه فؤاد (مرشان)

قال كذلك كان عمرو لعمر فتح مصر وكذلك فتحها والتاريخ كما قيل مكرر معاد . وقد حدثك رمسيس عن الاقدام وذكر لك فضله وشرح لك مزاياه وهذان دليلان قاما عرضا فى الحديث على صدق قوله وصواب رأيه وما كان رمسيس ليعرف الشوق ولا الصبابة لولا انه كابدهما وقاسى وكان فى مقدمة رجال الاقدام فان أردتم ببنيكم خيراً وضمنت قلوبكم ان تمادوا فى الجناية عليهم فربوهم منذ الصغر على الاقدام فانه كما قال رمسيس سعادة الافراد وحياة الامم

قلت أوشك الاصيل يامولاى ان يفيض ذهبه فلو أمرت انتقلنا الى الفسطاط . قال تلك مقدمة لم يكن لنا عنها غنى والآن لك أن تطير معى الى حيث الاسلام يحكم

والاخلاق تسود قلت إن أذن مولاى بدلنا هذا الزى بغيره لنأمن نظر الرماة وزجر الجماعات . قال الناس والطير وهذه الحجارة ، وأومأ الى الاثار ، فى كلاءة رجل يتقى الله فى السما. ويخاف عمرا فى الارض. فلونالنا أحد فى حماه بظلامة لفزعنا بالشكوى الى صاحب الامامة ولا نشدناه (جاءت سليمان الزمان حمامة)

على أنه لابأس بتغيير الزى فايهما تختار القبطى أم العربى قلت الثانى يامولاى. لانه لباس الفاتح وشعار الحاكم ينبىء عن عز الملك ويخبر عن سناء الدولة وقد خلقت جنود الملك ادوارد فى مصر يتنحى السراة لاحدهم حتى يعبر كأنه فى رداء ولتون أومطرف نابليون وان مست طرف ثوبه يد مسها السيف

قال ليس هذا شأن عمرو وأصحابه فى مصر فيهم المؤمنون العزة لهم ولمن فى ظلهم بالسواء. وقد كان الرومان قبلهم كمن ذكرت من الادلال على هذه الأمة والمرح فى هذه الارض على ماينهم وبين القبط من مودة فى الدين ورحمة فكان الصليب يعلو على الصليب والناقوس يخرس الناقوس والكنيسة تزرى بالكنيسة. وكان مذهب الرومان فى عبادة المسيح هو الدين كله وما سواه فضرب من الهذيان يسخر من أهله ويعتدى على أصحابه وكان الامير فى القبط يحكم فيه سوقة من الرومان وكانت الحكومة الكبرى فى روما عمياء عن هذا الظلم المبين صماء عن تظلم المصريين إلى أن قدم العرب مصر وتم لهم على الرومان النصر واطمأن عمرو بالولاية وسكن أولئك البؤساء إلى حكومته السمحاء ودخلوا فى الاسلام أفواجاً يحببه اليهم تسمح العرب وحلم زعيمهم واجتماعهم على كلمة الاسلام وتساويهم فيما جاء به من الاحكام وكونها بينهم كالحقيقة لاتقبل الانقسام ولا يجادل فيها الخاص فكيف العام وان سيرة (العامل) وأصحابه فيهم هى أقرب مما أراد المسيح عليه السلام من الناس أن يتساووا ويتصالحوا ويتعاونوا أن يكونوا رحماء بينهم وأبعد مما أراد القسوس بالناس منذ القدم من شغب التمذهب وفتنة الانقسام والتفرق ازاء الحقيقة الباهرة. العرب فى مصر بضعة آلاف وفيهم المقاتلة فكيف فتحوا ثم كيف أصلحوا ثم كيف وطدوا فيها بنيانهم وعلموا أهلها لسانهم ثم كيف استأصلوا الوثنية من هذا الوادى وزحزحوا منه النصرانية وارسوا فيها الحنيفية ، كل ذلك فى أيامهم الأول بل فى

حكومة ابن العاص. إذا أضفت إلى ذلك أن الدعوة إلى الاسلام لاتقوم على الحول ولا الحيلة علمت أن العرب تعلموا حقيقته ثم علموها الناس فكانوا حيثما استعمروا من الارض كالمصباح التقى يحمل النور البهى

وإذا الديانة لم يصنها أهلها ... خفيت خفاء النور بعد ظهور

اخفاء مصباح حواه فاسد ... فالذنب للمصباح لا للنور

قلت أرى الحديث فتح بعضه بعضاً يامولاى فماذا اخترت لنا من الرى. قال قد اتدبنا بانى للنظر والاختبار واستقراء أحوال العرب فى هذه الديار فما لنا لا نتلبس بلباس المحكوم ونتردى ثياب المؤتمر لكى ينظر بعينيه ويسمع بأذنيه فان كان شقياً بدولة القوم تعباً بحكومتهم عرفنا ذلك بالخبر لا الخبر وشفعنا له عند عمرو أو عمر وإن كان ناعماً فى ظلهم راضى العيشة على عهدهم أخذنا بنصيب من حاله ووقفنا على حقيقة أمره.

(قال الهدهد) وبينما نحن فى الحديث لم نبرح المكان هتف هاتف بالاذن ودقت بالناقوس يدان فلم أدر إلا ونحن على الفسطاط فى زى قسيسين من الاقباط فضحكت من نفسى وعجبت لاختلاف يومى وأمسى والتفت إلى الشاعر أبه يتبسم كذلك فتمثل بهذا البيت من الشعر وهو من قصيدة لى فى مدح العباس

قد بشر الناقوس بالمسلم الما ... دل من قبل بشير الاذان

قلت هذا ما حليت به العباس يامولاى فكيف نزعته عنه وكسوت عمرا قال بضاعة عمرو ردت اليه فلا والنفس والخلود ودين الآباء والجدود، ما فتح لابوة العباس فى مصر إلا بسر هذه الراية ولا دخلوها إلا ليعزوا هذه الراية على أن الشعراء كثيرا ماعدحون زيداو يعنون عمراً وقد صدق صاحبنا من حيث كذب فى قوله

وإن جرت الالفاظ يوما بمدحه ... لغيرك انساناً فأنت الذى نعنى

قلت إنك لتزرى باصحابك يامولاى

قال ما كانوا لى أصحاباً وهم ينزلون بالشعر عن رتبته ويحملونه حيث لا يرضاه الادب لايمدحون محمداً ولا يهجون مذمما ولا ينظمون فى الطبيعة والتاريخ اللذين هما أم الشعر وأبوه ويخلطون كلمة باقية وأخرى فانية

هذا صاحبك الذى سير الامثال حكما والحكم أمثالا وجرى فى الشعر إلى

الغايات فسبق السابقين وبز القائلين يقول هذه الحكمة العالية ويرسل هذا المثل المحكم
بذا قضت الايام مابين أهلها، مصائب قوم عند قوم فوائد . وتراه يقول بعد ذلك
نهبت من الاعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بانك خالد
وما أحسن هذا الشعر والطف هذا التصوير لو لم يتجرد فيه الشاعر من رقة القلب ورحمة النفس وكرم الشيمة فهو يبيح لممدوحه دماء العباد وتملك أعمارهم ويتوه بسفح الدماء وسفكها ويتمنى لو بعد ذلك الانفراد بالخلد الذى كرهه أبو العلاء لنفسه حيث قال :—
ولو انى منحت الخلد وحدى لما آثرت فى الخلد انفرادا
فهلا هجر أبو الطيب الصناعة الى الروحانية التي هي حقيقة الشعر ورجاحة الموزون والمراد من المنظوم والروحانية لاتقوم على مثل هذه الجفوة والقسوة والغلظة لكن تكون بمثل ماقال فى مثل هذا المقام
ترفق أيها المولى عليهم فان الرفق بالجانى عقاب
تأمل يابنى هذين البيتين وانظر كيف هدمت صناعة الاول ورفعت روحانية الثانى وأقبح من بيت المتنى فى استباحة دماء الافراد بيته فى استباحة جماجم الملوك
وجنبنى قرب السلاطين مقتها وما يقتضينى من جماجمها النسر
فما قتلة كارنو وهمبرتو والزابيث ومكنلى وما اقتضتهم الفوضوية من صدور الملوك والملكات وجنوبهم واحشائهم بأشنع ولا أفظع ولا أبغض الى السموات وما أظللن والارضين وما أقللن ، من نسر صاحبك .
وانى لا عجب للفوضويين كيف لم يهتدوا لهذا البيت فيتخذوه شعارهم أو يتخذوا فيه قرارهم
(قال الهدهد) ورأيت الناس يهرعون إلى صلاة المغرب فندمت على مافاتنى من المشاهدة والعيان فى هذه الزورة الاولى وقلت للنسر قد كان لنا يامولاى غنى عن أبى الطيب وحديثه والنظر فى طيبه وخبيثه . لاسيما وهذا أول أصيل قضيناه على الفسطاط فأخذ النسر من عبارتى الغضب وقال أحدثك عن شعر العرب وشاعرهم ونحن قادمون على دولتهم فى ابتدائها بمصر فتزعم انى حدت عن الغرض وخرجت من الموضوع وما الشعر والبيان الا عنوان الامم يستدل به عليها، ثم تثاءب النسر وقال موعدنا غدا بمجلس عمرو فما هي الا اغفاءة ثم اذا أنا بحلوان .

نزهة النفوس

تيهى يا نزهة النفوس وصدّى ... وأضلّى الفؤادَ أو شئتِ فاهدى

أنتِ كلُّ المنى وغاية سعدِى ... ليس لى فى الحياة الاّ لقاكِ

* * *

إيه يا نجمة الحياة تعالى ... واسكبى ضوء حسنك المتلالى

واستبينى برقةٍ ودلالِ ... إنّما كلُّ حسنِها من حلاكِ

* * *

أنت علمتّنى جمالَ الحياةِ ... أنتِ علمتّنى جلالَ المماتِ

فيك غيّى ومنك هدى التقاةِ ... وكثيرٌ تشبه عيناكِ

* * *

كلما دبّ فى الفؤادِ دبيبُ ... وسجى الليل واستراح الرقيبُ

همس الخاطرُ المشوق الحبيبُ: ... ليت لى أننى أقبّلُ فاكِ

* * *

بين هذا الدجى وذاك الضياء ... تشرق النفسُ بالمنى والرجاء

وتهب الحياةُ فى الاعضاء ... لم تفقْ من همودِها لولاكِ

* * *

يارياح الشتاء هبّى اليها ... واذكرى أننى مقيم لديها

واخدعيها وقبلى شفتيها ... علّها ترسل السلام الزاكى

* * *

صاح : ما الجاه غايتي وطلابي لا ولا المجد في الحياة ركابي
أنت يا نزهة النفوس كتابي ومنادي من الكتاب هواكِ

* * *

كل من في الأنام يحدوه قصدُ وهو في إثره يجدّ ويعدو
ثم يطويه بعد ذلك لحدُ غير أني أسير في يمناكِ

* * *

انني في هواك أرجو الخلودا فصليني حتى أفكّ القيودا
والى الخالدين اعلوا صعودا أنت لي خير منقذ من شباكي

الخرطوم محمد عشري الصديق

مذكرات سيدنا نوح

السبت :

هذا لا يطاق ! هذا لا يحتمل ! ما كنت أحسب أن يمتد بى أجلى حتى أحضر عصراً كهذا الذى أعيش فيه الآن . . . حقا إنه ليس لى « شهادة ميلاد » أرجع إليها ، ولكننى ـ فيما اعتقد ـ أوشكت أن أتخطى « المائة السادسة » من سنى حياتى .
ولقد خضرمت فى مختلف العصور خضرمة لم يخضرمها أحد ، وعمرت على الدهر تعميراً فى ظنى لن يعمر مثله أحد ، على أنى لا أذكر أنه مر بى جيل خاطىء لعين كهذا الجيل . . . أعوذ بالله ! أهله شريرون بقدر ما يكون الشر ، خاطئون إلى أبعد ماتكون الخطيئة ، مويوءون بأنكر ما يتصور الوباء . . . الأنصاب ينصبون والأزلام يزلمون ، وكل رجس من عمل الشيطان يرتكبون . . . ألا سحقا له من جيل ! !

الاثنين :

أليس من آلم ما يؤلم شيخا مثلى أن يستحوذ الشيطان على ولد من أولاده ؟ مسكين « كنعان » لقد تمادى به الضلال إلى حد يذيب قلبى حسرة وأسى ! فهو لا يصدق رسالتى ، ولا يكترث لنصيحة أسديها اليه ، بل إنه ليعاندنى و يصر على عناده ، ويخالفنى عياناً بياناً دون أى احتشام ، ويجاهر فى وقاحة بأنه فى عصرى يجب ان يمتزج بروح العصر لا أن يرجع الى الوراء فينصت إلى رجل « موضته قديمة » مثلى . وقد اخترع للدفاع عن نفسه ألفاظا لا عهد لى بسماعها . . . وجدان . . حرية الفكر . . ثقافة . . وتعبير آخر عجيب ، ماذا ؟ آه . . . الاستقلال بالشخصية ! ! إنى لا أشك فى أن لهذه العبارات معنى إلا فى رأس إبليس اللعين ! . .

أواه !

ولكنها أمه « واعلة » هى التى أفسدته منذ الصغر . إذ كانت تسرق له القمح ليشترى أحدث الأزياء ، وتملأ جيوبه « بيضا » فيقامر ببعضه ، ويشرب الخمر بما تبقى .

(طبعا لم يكن فى عهد نوح نقود كالتى نتعامل بها الآن ، بل كان البيع والشراء بالمبادلة ،

فقد «الكريب دى شين » بكيلة قمح ، وكاس الوسكى بعشرة بيضات ، وخلع الضرس — بدون ألم — بعشين وهلم جرا . . . . « الناقل »)

الثلاثاء !

إن الرجم بالحجارة ، والمشى على الشوك لأهون على مما لقيته هذا الصباح ! خرجت إلى السوق لأعظ من يفدون عليه فى مثل هذا اليوم من أهل القرى المجاورة . . فلما كنت على مقربة منه ، أبصرت شابة تبالغ شد إزارها حول جسمها البض الممتلىء حتى كادت تتبين تفاصيله فى جلاء تام ، وقد كشته فظهر معظم ساقيها ، وشمرته فبدا أغلب ذراعيها . وكانت تتعمد تلعيب خصرها ، هكذا طوراً وطورا هكذا ، ثم تتثنى وتتمايل حتى ليجاذب بعضها بعضا .

فتقدمت إليها أنصح لها . وماكنت أفعل ذلك حتى صاحت وولولت : فكا كا الناس حولنا تكأكأ لم يتكأكأوا مثله مرة ، وأنا أدعوهم إلى وعظى . . فلما تكامل العدد الذى راقها ، جعلت تفترى على ما يعلم الله أنه لم يمر ببال شيخوختى ؛ وما كان ليمر بالشباب !! فانتهز الأوغاد هذه الفرصة وانهالوا على سباً وشتماً وتهكماً وتبكيتاً . . ومما زاد الطين بلة أن المرأة أحدثت حركات وسكنات لا عهد لى بها ثم سقطت على الأرض فجـــأة فحسبتها وحسبها الجميع أنها ماتت . وبينما أنا أحمد الله على الانتقام لى منها ، إذ بعراف يقول إن هذا إغماء لا موت . وصاح فيهم فتقدم عملاق طويل ضخم فحمل المرأة بين ذراعيه ، وأدخلها إلى منزله وكان المنزل على مقربة منا .

ملحوظة

الحق أقول انى لا أعرف حقيقة « الاغماء » ولكنى أؤكد أن المرأة ابتسمت بين ذراعى العملاق ، وقد يكون هذا من مستلزمات هذا النوع العجيب من الموت !

الخميس :

انقضى اليوم والبارحة دون أن يحدث مايستحق الذكر

الجمعة :

فى الهزيع الأخير من الليل وقد انحدر كوكب « النسر » استيقظت على صوت

شجار عنيف في بيت جارنا ــ وهو من المؤمنين الصالحين . فاستفسرت الخبر فعلمت أن ابنه الكافر اللعين ، دخل على والدته في هذا الوقت المتأخر من الليل فطلب منها طعاما . فقدمت له منه كبة وافرة ، فأكلها وطلب المزيد ، فقدمت له كبة أخرى ــ تقول الأم المسكينة أنها كبة لا تقل عن سابقتها ــ فأتى عليها ، ثم كرر الطلب ، فنهرته لأنها تعلم أنه يتعاطى مخدرا مصنوعا من بريق وسريق ، وخزيق وحوفق . . تطبخ جميعها في العسل حتى تصير ، زى الزفت المسيح ، . . أما الولد فثار ثائره وزار وجار وسب الشمس والقمر !!

تباله من جيل ! لا كرامة لوالد ولا حرمة لوالدة ! إن تجاربي الطويلة لتغريني باليأس من إصلاح حال هؤلاء القوم

(بحثت في دكاكين العطارين وفي مخازن الأدوية عن السريق والبريق الخ . . لم أهتد إليها . على أن أحد مشايخ العطارين أخبرني بأن لديه صنفا أفتح للشهية ، وأبلغ أثراً في الرأس ، من ذلك الذي كان يتعاطاه ابن جار سيدنا نوح . . . الناقل)

الأحـــد :

تمادوا أيها الفجار في فجوركم وغروركم ! عما قريب ترون الآية الكبرى !! لقد أوحى الى الله أن أصنع سفينة كبيرة محكمة ، لأنه تعالى سيرسل طوفانا هائلا يغرق الارض ومن عليها الا عباده المخلصين . سوف تأخذكم السماء ، وتتفجر بكم الأرض فلا تجدون من مفر ولا مستقر . . . رب اهد لى ولدى وقومى ليكونوا من الناجين . . . آواه . إن الرهبة لتتملكنى كلما فكرت فيما سيحدث . ولكن لتكن مشيئة الله

(في الليلة نفسها)

لم أستطع الرقاد : إن السفينة لتشغل بالى ، وخيالها يطرد النوم عنى .

السفينة !!

يا للمشروع الضخم !!

إن الله يلهمنى أن أجعل طولها ثلثمائة ذراع ، وعرضها خمسين ، وارتفاعها ثلاثين . حسن جدا ! وأن أصنع لها فتحات وأن اجعل لها حافة ارتفاعها ذراع واحدة ثم باب . . هذا شىء بديهى ، وأن أتخذ فيها ثلاث طبقات : سفلى ، ووسطى ، وعليا .

ستكون بلا شك مضرب الامواج والامثال معا . سوف يقال « سفينة نوح » سفينة نوح « أبد الدهر ! » . أركب فيها مع أبنائى ونسائى ونساء أبنائى ، وأحمل معى ذكراً وأنثى من جميع الحيوانات والبهائم والطيور . . . لهف قلبي عليك يا كنعان !

قضيت الايام الماضية فى اعداد المهمات والمستلزمات ، وكنت دا . . . التفكـ
أ . . مر . . . . سفي . . لاخراج . . على الوجه . . كمل . . لك . . . . يت به . التجا
. . . لأرى ماذ . . . . يه . . . ون . تأثير ثقـ . . . . حيـ . . . .
هذا الجزء غير واضح فى الأصل إذ قد أكله البلى وأغلب الظن أنه يقول
« وكنت دائم التفكير فى أصل هذه السفينة لاخراجها على الوجه الأكمل ، لذلك أجريت بضع تجاريب لأرى ماذا يكون تأثير ثقلها ـ حيث . . « الناقل »
إنها ستحتوى على فيلة وسباع وضباع الخ الخ . وطعام هؤلاء جميعاً ـ فوقفت على نتيجه غاية فى الغرابة والأهمية ! وهى أن الجسم إذا غمر فى الماء فان وزنه ينقص بقدر وزن ما يحتله الجسم من الماء . . . أنا موقن من ذلك !

ملحوظة

لن أطلع أحداً على هذا التوفيق العجيب وليستنبطه من أراد بتجاريبه الخاصة ومجهوده الخاص .

الاثنين : (بعد أيام)

العمل يتقدم باطراد وسكينة ، حتى لقد أتممت منه مالا يستطيع أمهر التجارين أن يتم مثله أو أدق منه ولكن حدث اليوم أن الكافرين أرادوا أن يكيدوا لى فأغروا بى أولادهم الصغار فتوافدوا على من كل فج ، وجعلوا يحومون حولى كالنحل ويطلبون منى أن أصنع لهم (لعبا) فلما أبيت عليهم ذلك شرعوا يخطفون الأخشاب التى تعبت فى إعدادها وتوضيبها ففضلت أن أجيبهم إلى سخفهم الصبيانى من أن أفسد عمل السفينة . إنى لأضحك فقد طلب منى اليوم على ما أذكر :

عدد
٣٠ بهلوان
١٢ حصان

١٦ نعاره

١٧ عروسة

ما كان أشق مهمتى اليوم !..

الخميس

كنت اعمل بجد ونشاط ، ولكن الشيطان اللعين أبى إلا أن يسوق إلى أنصاره وشيعته يتهكمون بى ويعكرون مزاجى ، فقد مرت بى قافلة تسير فى اتجاه الريح . فصاح أحدهم يقول :

— انظروا إلى نوح ينشىء سفينة فى الصحراء .

فرد عليه ثان يقول :

دعوه ، دعوه .. ليس عليه من حرج فهو ... نبى !

فضحك الجميع ، وانبرى ثالث فقال :

— أظن أن الله سيعهد الى النبى الذى يأتى بعده أن يحفر لهذه السفينة بحرا تحتها ضحك متواصل ، واستحكمت النكتة فى رأس رابعهم فقال :

— ويعهد إلى النبى الذى يأتى بعد هذين أن يملأ هذا البحر حنفية ! !

وانصرفوا مقهقهين ... لكم أن تسخروا اليوم أيها الاغرار فسنسخر منكم غداً ...

الجمعة

كا . كب . كد . كر . كف . كن .. ليست هذه رموز أو شىء من هذا القبيل ، ولكننى أجرب قلماً جديداً أهدانيه جارى من ريش نسر اصطاده . لاداعى إلى الكتابة أو العمل يوم الجمعة فلأجعله يوم راحة

الثلاثاء

(بعد حين)

باركنى يا الله لقد تمت السفينة !! ومن غد يكون طلاؤها وهى كما أوحيت الى طولا وعرضا وارتفاعا يا للمعجزة !! لن يكون ظلوما بعض الشىء فى سفينتى غير الجمل والزرافة .

لقد حاولت أن أوجد كوات لرقابها الطويلة فلم أستطع . فتلا . فكرت فى أن من أجعل لها « طاقات » بين الطابق الاول والطابق الاوسط . ولكن لو كنت فعلت ذلك فى مقدم السفينة لكانت رءوسها باستمرار فى مخازن الطعام ، ومعنى هذا أنى أعرضها إلى تخمة قاتلة ، وأن أعرض باقى الضيوف الاعزاء إلى مجاعة عاجلة . ولو فتحت « الطاقات » فى مؤخر السفينة لأطلت رأسان فى غرفتى ورأسان فى غرفة نسائى ، وهذا بلا شك يضايق ويفزع ، فضلا عن أنه ينافى قوانين الصحة !

يجب على ذوى الرقاب الطويلة أن يطأطئوا الرأس قليلا إذا أرادوا السلامة

الأربعاء :

شرعت فى جمع الحيوانات . والحق أقول أننى لم أجد صعوبة إلا فى التفاهم مع الحمار ! يالله من مخلوق بليد غبى . لقد حسبتنى أغريه على دخول السفينة لاضطره ، عند الاقتضاء ، إلى جرها بمرفيها !! ولست أدرى كيف خطر هذا الخاطر ببال هذا الحمار ! على أنه اقتنع أخيرا . .

السبت :

تم ملء السفينة . وقد أقام المؤمنون حفلة تكريم لشخصى الضعيف أخجلوا فيها تواضعى . ويعلم الله أننى لم أدخر وسعاً فى نصيحة إبنى وحمله على الركوب معنا . ولكنه مصر على عناده وكفره ، ويقول فى غير اكتراث أنه سيأوى إلى جبل يعصمه من الماء . . .

لتكن مشيئة الله !

الخميس :

هطلت الامطار ، وفاضت الأنهار ، وماجت البحار ، وهاجت الرياح ، وزمجرت العواصف . . المنازل تتداعى ! والدنيا تنقلب رأسا على عقب . وأصوات الكافرين ترتفع بالبكاء والعويل . وطلب الغوث يتعالى من كل ناحية . الكل فى فزع أكبر . لايدرون ماذا يصنعون ، ولا إلى أى مكان يلجأون . . ولكن هنا فى السفينة الهدوء والطمأنينة والغبطة . كل يصلى لله شكرا . دخل الجميع ، ودخلت آخرهم

وبعدى الطوفان ؟

طاهر لاشين

قصة

جناية الآباء

ترافع المحامي عن المتهم بما أوتي من فصاحة لسان وقوة برهان وخلت المحكمة للمداولة ثم خرجت من غرفة المشورة وأعلنت حكمها القاضي باحالة الأوراق إلى مفتي الديار. ومعنى ذلك كما لا يخفى الحكم على المتهم بالأعدام فضج الحاضرون وقد أخذتهم نشوة الطرب. كأن غريزة المرء الحيوانية الكامنة تحت ستار المدنية الرقيق لا يلذ لها غير القتل وسفك الدماء. ولا يثير شعورها الا المظالم والمغارم التي ينزلها الانسان بأخيه الانسان.

وخرج الجند بالمحكوم عليه وهو أصفر الوجه جاحظ العينين ينظر ولا يرى ويتطلع ولا يبصر. وكان يسير مدفوعا بغلظة الحراس وفظاظتهم. فهذا يدفعه وذاك يلكمه. وآخر يجره وغيره يلكزه. وهو مستسلم لهم لا يبدي مدافعة أو ممانعة كأنه قد فقد الحس والشعور. والناس يبتعدون عنه ويفرون من طريقه كأنه وحش ضار يخشون على أنفسهم منه.

وكان المتهم فتى في ربيع الحياة وميعة العمر. طويل القامة نحيل الجسم وسيم المحيا لولا ما انطبع عليه من مقت وكره للانسانية التي نبذته وآذته. مما جعل أساريره جامدة يابسة لا تنم عن عطف ولا تشف عن حنان. فوقف على باب المحكمة الخارجي وقد أنعشته نسمات الشتاء الباردة فاستنشق الهواء ملء رئتيه وتطلع فيما حوله علّه يرى نظرا حبيبا أو بصراً شفيقاً يحنو عليه ويعطف. فلم يبصر غير عيون تحدق فيه بحنق وذعر. فرفع بصره إلى السماء كأنه يستشهد الله المطلع على دقائق القلوب وخفايا الصدور. ثم نظر أمامه وما لبث أن عرته رعشة شديدة اهتز لها كل جسمه. ووقف برهة محملق العينين يتطلع إلى صبية أمامه يتراوح سنهم بين الخامسة والتاسعة وهم يتزاحمون حول صندوق القاذورات والنفايات ويتدافعون لالتقاط ما يجدونه فيه من قشرة برتقال أو عظمة عليها مسحة من اللحم أو كسرة خبز علتها الأوساخ والأدران ويتلقمونها بشراهة ويلوكونها بشهية ويزدردونها بلذة وارتياح

كأنهم يأكلون أطايب الطعام ويتذوقون لذيذ المآكل وشهيها

وكانوا يزاحمون الهررة والكلاب ويسلبونها ماعثرت عليه من نفايات المأكول وهم يصخبون ويضحكون رغم مابهم من جوع ومسغبة . وماهم فيه من ضنك وبؤس.

وكانوا عراة الرءوس حفاة الاقدام لايستر أجسامهم من قر الشتاء وبرده غير ثياب ممزقة بالية تكاد لاتكفي لمداراة عوراتهم . وكانت وجوههم ذابلة ليس فيها أثر من نضارة الطفولة . يعلوها شحوب واصفرار ويتخللها أخاديد من القذارة والوساخة . وأعينهم مطفأة البصيص لاتنم عن ذكاء ولا فهم كأنها أعين حيوانات دنية ، وأجسامهم نضيضة اللحم لم يبق الطوى منها غير جلد على عظم .

وقف المحكوم عليه يتأمل هذا المنظر المتجلي أمامه وهو شارد الفكر ذاهل العقل حتى أخرجته من سباته لكمة شديدة من يد جندي وقعت على م رأسه فلم يبال بها لاعتياده على مثل هذه المعاملة من جميع حراسه . بل رفع يديه المصفدتين ومسح بظهر كفه دمعة ترقرقت في عينيه ثم لوى بصره عن الصبيان وسار متبوعا بالجند وسائر المحبوسين .

وكان الى جانبه سجين قد تمرست نفسه بالاجرام وارتاضت على أنواع المنكر وضروب الآثام ، حتى صلبت عواطفه وتحجرت مشاعره فاندهل عند مارآه يبكي وظن ان دمعه ينساب حزنا على غصن حياته الذي سيصهر يافعاً . فهمس في أذنه مشجعا اياه : « جمد قلبك يامحمد . السجن مأوى الرجال ، والمشنقة مرجيحة الابطال » . فاجابه المحكوم عليه بالاعدام وقد خنق التأثر صوته : سيان عندي حياتي أو مماتي . فقد أشجتني ذكرى مرت بخاطري فاعادت الى ذهني أيام طفولتي بمرارتها وعلقمها . وسأقص عليك ما كابدته في حياتي القصيرة من التعس والشقاء عند ماتركب العربة التي ستقلنا الى السجن . لتعيه من بعدي وتسرده للناس فيكون شهادة "طقة بجناية الوالدين وظلم الانسانية .

ولما أخذ السجناء أمكنتهم في عربة السجن لبث محمد برهة مستغرقا في أفكاره يجمع شتيتها ثم زفر زفرة خرجت من أعماق قلبه واستتلى حديثه قائلا: ما أتعس الطفل الذي يشب بعيداً عن حنو أمه وعطف أبيه. وما أشقاه إذا أسلمته المقادير الى أيدي ظالمة عتاة يسومونه الذل ويحملونه الهوان ويرهقونه بالمظالم والمغارم وهو لم يزل بعد لدن العود رطبه لا يقوى على احتمال ما يثقل كاهله من جور ينوء تحته أشد الرجال وأقواهم.

فقد شاءت صروف الدهر ان لا يعي ذهني حالما بدأ بالشعور إلا التعاسة والشقاء. ففتحت عيني في هذا الوجود وأنا لم أستكمل الخامسة من عمري فلم أر لوالدي أثرا. بل وجدت نفسي عند امرأة شرسة الطباع شكسة الخلق. لا قلب لها يرق ولا فؤاد يرحم. فقد طلق أبي أمي وهي حامل بي وذهب الى حيث لا يدري أحد مكانه. ولم يكد ناظري يكتحل بنور هذه الحياة حتى تزوجت والدتي بغيره. فكنت حجر عثرة في سبيل هنائها. لأن زوجها لم يكن يطيق رؤيتي فكان يسيء الي ويضربني. وأمي تدافع عني جهد طاقتها حتى خيرها بين تركها لي أو تركه لها. ففضلت الانفصال عني وسلمتني الى هذه المرأة العجوز لتقوم بتربيتي لقاء أجرة معينة تأخذها شهريا. وأنا لم أزل بعد في الثانية من عمري. وما هي إلا شهور قلائل حتى غابت أمي عن نظري وتركتني بين يدي هذه العجوز التي لما رأت انقطاع الاجرة عنها طفقت تعاملني أسوأ معاملة وتضربني ضرباً أليماً ولا تطعمني في النهار كله الا كسرة خبز يابسة تكاد لا تكفي للابقاء علي. ولا تكسوني الا بقطع عتيقة من بقايا ثيابها الخلقة. تلفقها كيفما اتفق وتحلها على جسمي الهزيل. فكانت لا تمنع عريي ولا تستر عورتي. ولا تقيني حرارة الصيف ولا صبارة الشتاء.

ولما قوي ساقاي على حملي علمتني التسول وجمع اعقاب السجائر وبيعها. ودربتني على نشل ما تقع عليه يدي. وكانت تسرحني صباحاً مشيعة اياي بالضرب وطالبة مني ان أعود اليها مساء. ويدي لا اقل من ربع ريال. والويل لي اذا رجعت ولم استتم هذا المبلغ. فاقل ما يصيبني منها الضرب بالعصا على جسمي الضعيف العاري حتى تخدفيه آثارا دامية. فيغمى علي من الالم فتلقيني

فى ركن غرفتها السوداء بعد ما تأخذ من النقود التى جمعتها وتجلس على فراشها وبيدها العصا تتطلع الى كما يتطلع الوحش الضارى الى فريسته المضرجة بالدماء معتزمة معاودة الكرة اذا افقت من غيبوبتى .

فكنت البث الساعات وانا فى غشيتى حتى اذا عاد الى صوابى اتطلع اليها بطرف خفي فاذا رأيتها تترقبنى ظللت فى مكانى لا اتحرك حتى يغلب على النعاس والتعب والالم فانام متوسداً الارض الرطبه نوما متقطعا يتخلله الفزع والهلع والهواجس والوساوس .

وعندما يتنفس الفجر توقظنى بالرفس واللكم، وتلقى الى بكسرة الخبز كما تلقيها الى كلب وتشيعنى بالتهديد والوعيد فاسير لمزاولة عملى وأنا فى حالة يتقطع لها القلب من الضعف والهزال والجوع والعري . حتى إذا كان ذات يوم وقد خرجت عند ز ر السحر أتطلب ما أسد به جشعها دفعاً لأذاها، متأبطاً قطعة الخبز اليابسة ومتزملا ببقايا ثياب لم تترك الايام منها غير مزق تتدلى على جسدى فيبدو منها صدري الهزيل الذي تعد أضلاعه عداً . ويظهر من تحتها ذراعاي الرفيعان الملتصق جلدها بعظمهما . وساقاي الدقيقان اللذان يحملانى مترنحين. مررت بقصر منيف تحيط به حديقة غناء . فى مدخلها قبالة السلم الرخامى كشك صغير من الخشب فيه كلب ضخم الجثة هائل المنظر مربوط بجنزير وقد انحدر عبد اسود حاملا طبقا فيه لبن مغلى يتصاعد منه البخار . فوضعه امامه وقفل راجعاً . فغمس الكلب فيه منخره وربض مكانه .

وكان الوقت شتاء والطقس باردا زمهريراً يقضقض من قره الجسم المدثر بالفراء ووثير الثياب فكيف بالعارى مثل جسمي الذي لا يستره غير أطمار بالية . فتطلعت إلى طبق اللبن وقد جحظت عيناى واندلع لسانى وجرى لعابى فى فى رغماً عن يبس حلقى الذى لم يذق فى حياته للبن طعماً . فطاش عقلى وفقدت وعيي وانسللت من باب الحديقة المفتوح واسرعت الى الطبق فهجم على الكلب الكاسر وانشب انيابه فى كتفى العاري . فلم اعبأ بالالم من فرط الجوع والبرد وجثوت على ركبتى ورفعت الصحن الى فى وتجرعت منه جرعات كبيرة رغماً عن سخونته . فلما رأى الكلب لهفتى وجوعى

فطن بغريزته الحيوانية الى حالتي البائسة فتخللت الرحمة قلبه وارتد عني وأقعى على ذنبه وأخذ يبصبص لي به ويتطلع إلي بعطف وحنان بعينيه الصغيرتين المملوءتين ذكاء . كأنه يقول لي : اشرب لاخوف عليك فأنت أحوج من سواك إلى مايدفئك ويقوتك .

وكأني بالحيوان الاعجم أرق قلبا من الانسان . فبينما أنا مقبل بكليتي على اللبن أتجرعه بشراهة لأدفع به عن جسمي البرد الذي كان يهرؤه سمعت من ورائي صوتاً يصيح « أيها اللص » وشعرت بضربة سوط شديدة وقعت على أم رأسي فاندلق اللبن من يدي وسقطت على الارض وأنا اتلوى من شدة الالم والدم يتدفق بغزارة من جرحي .

وكان الضارب شابا في ريعان العمر ومقتبل الحياة . انيق الملبس يتدثر بمعطف ثمين تحته بزة افرنكية من غالي النسيج وفي يده قفاز من الجلد . وقد قبض على سوط مدبب الرأس . فانحنى فوق وصاح بي « أتسرق أيها الوغد وأنت في هذه السن ؟ » وهم بضربي ثانية ، لكن الكلب الذي أنف من هذا الظلم هر هريرا قوياً وهجم على صاحبه مكشرا عن أنيابه وحال بيني وبينه . فصاح الشاب مغضباً : ويحك يابوبي أتهر علي ؟ لكن الكلب لم يبال به بل مال علي وأخذ يلحس جرحي كأنه يؤاسيني مستغفرا عن الجور الذي ألحقه بي سيده . فنادى الشاب خدمه فلبوه افواجاً . فأمرهم بطرحي خارجاً فحملوني من يدي ورجلي والقوني في الشارع وأغلقوا الباب . فلزمت مكاني دون أن أجد في نفسي قوة على مبارحته . وكان النزيف قد انقطع لكن ألم الجرح مازال شديدا فاسندت رأسي إلى جدار الحديقة وأغمضت عيني ملتمساً الراحة مما أعانيه .

وكانت الشمس قد بدأت تشرق وأشعتها الشاحبة تنسل من بين السحب الغائمة المغطية وجه السماء فشعرت بدفء خفيف تحت لعابها واستسلمت للكرى .

وماهي إلا برهة حتى أيقظتني من سباتي رفسة عنيفة من حذاء ثقيل اهتز لها كل جسمي . فأفقت مذعورا فألفيت عسكري الدورية واقفا ينتهرني بالسباب والشتائم طالبا مني السير . فصدعت للامر ونهضت متحاملا على نفسي ومشيت مترنحا وأنا أعتمد الجدران بيدي لكي لا أهوى إلى الارض فررت بصيدلية

التمست من صاحبها الاعتناء بجرحي الذي كان يؤلمني أشد الالم فانتهرني وطردني. فعاودت سيري وأنا أدلف وقد حبست نفسي عن الجزع لاستمد من عزيمتي قوة تساعدني على السير حتى أصل إلى مكان قفر آوي اليه . فابصرت على مدى قريب منزلا متهدما قد زال سقفه وبقيت جدرانه . فهرولت اليه بقدر ماتسمح الى به حالي . وانسللت بين أطلاله حتى أصبت ركناً قد انارته أشعة الشمس الشاحبة . فسكنت اليه وتمددت على أرضه وأنا أتداخل في بعضي والتف باطماري طلبا للدفء . وما لبث الكرى ان ران على أجفاني فاستسلمت الى النوم لعلي أجد فيه مخففاً لآلامي وأوصابي .

وماهو الا من وجيز حتى افقت مذعورا على تساقط المطر . فوجدت السماء قد اعتكر لونها و فاضت ميازيبها . فنهضت وقد ابتلت اطماري والتصقت بجسمي . فاسرعت في السير و أنا أشتد في عدوي باحثاً عن ملجاء يقيني عادية الماء الذي كان ينهمر فوق بغزارة . فالتجأت الى طنف يبرز من عمارة فاستترت به من وابل المطر . ولبثت أرقب المارة وأنا شارد الفكر مضعضع الحواس حتى انقطعت خيوط الغيث و انقشعت الغيوم و بعث الشمس بهاءها فازدحمت الشوارع بالسابلة و معظمهم من الصبيان وهم يسيرون أفواجا أفواجا حاملين اللعب المختلفة يتلاهون بها . وقد أسبغوا على أجسادهم حللا جديدة زاهية الالوان . وركب بعضهم العربات والسيارات وهم يغنون و يصفقون . فسألت صبياً يماثلني حالة عن خطب هؤلاء . فاجابني بانهم يحتفلون بعيد الفطر .

ومر بي فوج منهم يأكلون الحلوي والكعك فمددت يدي اليهم مستجدياً لان الجوع أخذ يفرس معدتي فكنت أسكن أنينها بضغط يدي . فتفرسوا في وجهي الشاحب النحيل وقد رسمت فيه الاقذار والدماء اخاديد . وتأملوا في عيني اللتان تشعان ببريق الحمى . وتطلعوا الى ثيابي المزق المبللة الملتصقة بجسمي دون أن تستر عورتي . ثم نظروا الى بعضهم هلعين وجلين وأطلقوا سيقانهم للريح كأنهم سرب غزلان تفر من وحش مفترس . فرفعت بصري الى السماء دون أن أدرك بعد أن هنالك إلهاً مهيمناً على العالم وانزلته الى الارض و أنا أشعر باجحاف وظلم لا أحيط باسبابهما . لكن احساسي الذي تنبه في قبل أوانه اظهرني

على الضيم الذي نالني والجور الذي حاق بي . فسألت نفسي لماذا يوجد صبيان في رخاء العيش وليانه . يسارع اليهم الهناء وتكلأهم السعادة بعنايتها وتواتيهم الدنيا على رغائبهم . وآخرون في سنهم وقد تنكرت لهم الحياة . وتجهم لهم وجه الزمن فذاقوا من شقاء العيش ومرارة الوجود ما يكاد يدك صرح هيا كلهم ويودي بحياتهم الغضة اليافعة ؟..

.. سؤال جهدت نفسي في ادراك كنهه فتضامل دونه عقلي الصغير القاصر..

وكانت شوكة الجوع يشتد وخزها . وأنا أدافعها بالتلهي في تصفح الوجوه واجالة الطرف فيما حوالي فأبصرت بإزائي حانة جلس فيها أناس من علية القوم الى موائد عليها كؤوس الخمر وأصناف المأكول يتنقلون به على الشراب . فزادت هذه الرؤية نار الطوى استعاراً في جوفي . فتفقدت جيبي مراراً علي أجد فيه فتاتاً من كسرة الخبز التي أضعتها في الحديقة تجاه عرين الكلب . لكني لم أظفر بفتيتة واحدة لان جيبي كان مخرقاً كالمصفاة . لا يستقر فيه شيء . فصحت عزيمتي على التسلل الى الحانة عساي أصيب ما أمسك به رمقي . فسرت مترنحاً كالشارب ثمل . وتنقلت بين الموائد متطلعاً بشراهة الى ما استبقاه المحشوون في الطباق من المأكل حتى اذا انتهيت الى مائدة قد نفد شرابها وفرغ الجالسون من أمرها وهموا بالانصراف. مددت يدي المرتجفة الى ما رسب في الصحون واسرعت الى فمي بما وصلت اليه . وأنا أزدرد دون مضغ . فانهال علي الشاربون سباً وشتماً وضرباً ولكنما وانا غير مبال بالألم الوجيع . بل منصرف بكليتي الى إلتقام ما تصيبه يدي حتى أقبل خدم الحانة فأخرجوني وهم يضربونني ، فما كدت اسير خطوات قليلة حتى اعتراني دوار شديد فتلمست طريقي متحاملاً نفسي وسقطت في منعطف زقاق مغشياً علي

مكثت على تلك الحالة برهة من الزمن لا أدري مداها حتى أفقت مذعوراً على أصوات تناديني وأيد تحركني . فظننت لأول وهلة ان العجوز توقظني كعادتها فنهضت مسرعاً خشية أن ينالني أذاها إذا تباطأت . فشعرت بالآلام تقعدني عن القيام . فتفرست في الوجوه المحدقة بي وأنا خائف وجل فوجدتها وجوه صبيان من صنوي وشاكلتي . فثيابهم رثة بالية وسحنهم

غبراء شاحبة . وأعمارهم مابين الخامسة والعاشرة . وهم مقبلون على بوجوههم فرحون بلقياى مستبشرون بما سيخصونني به أنا البائس المسكين مثلهم . إذ لا يعرف الفقر الا من ذاق جوفه ألم الجوع . وجسمه معرة العرى . وحياؤه مذلة السؤال . فجلسوا حيالي عند ما بدا لهم عجزي عن النهوض . واستطلعوني أمري . فقصصت عليهم تاريخ حياتي المفعم بالحوادث المؤلمة وهم مصغون إلى سامعون مني حتى استفرغت ما عندي فرثوا لحالي المماثل حالهم وطيبوا خاطري وناولني أحدهم برتقالة أكلتها بقشرها من فرط جوعي . وأروني نقودا فضية وفيرة في جيب أكبرهم سناً وأكلاً شهياً ملفوفاً بورق . ثم حملوني إلى الصيدلية التي قصدتها صباحا فطردني صاحبها فأعطوه ربع ريال وطلبوا منه تنظيفي وضمد جروحي فلبى الامر هاشاً باشاً وأنعشني بكأس من الكونياك ممزوج بأدوية أخرى . وغسل إصاباتي وضمدها فانتعشت نفسي . وردت إلى روحي . وقويت رجلاي على حملي . فسرت مع رفاقي الذين عزموا على إحياء العيد أسوة بسائر الأطفال المترفين . فلئن أبت عليهم الانسانية طوعا أن تدخل السرور على قلوبهم في ذلك اليوم . فقد أخذوا منها قسرا – بطريق السرقة – ما ساعدهم على نيل أمنيتهم وإدراك مرامهم . فانتحينا جانباً في حديقة خربة لم يبق منها غير سور متهدم يحيط ببعض أشجار متفرقة هنا وهناك . فافترشنا الغبراء وبسطنا الطعام المؤلف من خبز وسمك مشوى وطعمية وحلاوى طحينية على سماط من ورق الموز وأكلنا هنيئاً وشربنا من حفر في أرض الجنينة ملأى بماء المطر . ثم خلعوا على من ثيابهم ما كساني بعض الشيء وستر من عورتي وتمددنا على الارض ونمنا نوما هادئا حتى الاصيل

ولما أفقنا جلسنا حلقة نتسامر وقد سرى عني ما كان بي فاقبلت بكليتي عليهم وأنا ممتن لهم مغبوط بصحبتهم . فعرضوا على مفارقة العجوز التي تسومني العذاب الاليم والانضمام الى زمرتهم فهم يشتغلون لحساب شخص وان لم يكن أقل شراسة وأخف جشعاً من تلك لكنه أخف وطأة منها ، فكل منهم يدفع اليه جعلا معينا يتقاضاه الرجل مساء عند أوبتهم لكنهم عصبة الآن فاذا سولت له نفسه الشريرة أن يرهقهم من أمرهم عسرا كما كان يفعل ليكونن ذلك وبالا سريعا

عليه. لانهم ارتبطوا بروابط الاتفاق مع احداث على نمطهم لكنهم أكبر منهم سناً قد تحرروا من ربقة محتكريهم وأصبحوا يستغلون مواهبهم لانفسهم وهم ذوو سطوة وبأس فى عالم الاجرام فاذا ما انضممت اليهم رفه حالى ونعم بالى

فوقع كلامهم من نفسى، واجبتهم الى مايريدون وأنا جذل فرح وعشت معهم مقاسماً إياهم ضراءهم اذ لم يك لهم سراء. لان تبدل المعيشة لم يبدل البؤس بل خفف من حدته. فالرجل كان جباراً عاتياً يبادرنا بالشر لاقل سبب لكنه لم يكن فى شراسة العجوز وقد كنا جمعاً. والظلم اذا عم سهل احتماله.

مكثت على ذلك شهراً حتى اذا كنت سائراً ذات ليلة استندى الاكف، وقد جمعت فى يومى عشرين قرشاً أبصرت بى العجوز فانقضت على انقضاض الباشق على العصفور وأمسكت بذراعى وأمعنت فى ضرباً وهى تصيح وتولول فتكأكأ علينا الناس. فاخبرتهم بانى ابنها وقد كرهت المقام عندها رغماً من عنايتها بى وعملها على تقويم اعوجاجى وهربت منذ زمن وهى تجد فى طلبى حتى عثرت على الآن. ثم أهوت بيدها الى جيبى فوقعت على الريال فدسته فى عبها وجرتنى من ذراعى وهى توسعنى لكماً وأنا لا أجرؤ على الممانعة حتى وصلنا الى غرفتها فطرحتنى أرضاً وقبضت على عصا صائحة: الحمد لله الذى مكننى منك. وما برحت تضربنى حتى فقدت صوابى

ولما أفقت من غشيتى كان الظلام حالكاً فى الغرفة فحاولت اختراق حجبه ببصرى لارى مكان العجوز فلم أستطع غير أنى سمعت غطيطاً متسقاً فايقنت بانها نائمة وعزمت على الهرب وكانت الغرفة مبنية بالطين ومسقوفة بالقش وبابها لاقفل له ولايغلق باحكام وهى بعيدة عن العمران فاذا ماخرجت منها وركضت لايمكن للعجوز اللحاق بى ولا الاستنجاد بالجيران، فسرت على أطراف أصابعى محاذراً الاتيان بحركة حتى اقتربت من الباب فالفيت العجوز مضطجعة على عتبته لتحول بينى وبين الخروج فنكصت على عقبى ولزمت مكانى وأنا حائر فى أمرى

وبينما أنا أتردد بين الاحجام والاقدام فتح الباب بتؤدة وحذر وبدا منه

شعاع قاتم صوب الى أنحاء الغرفة كلها حتى وقع على فانتصبت واقفاً وأسرعت الى مصدره متوسما فيه الفرج فقبضت يد قوية على ذراعي وسحبتني خارجاً فانقدت اليها متخطياً العجوز فاستفاقت وحاولت الصراخ وطلب النجدة فانقض عليها شخصان وكما فمها وطرحاها على الارض وهي تتخبط لتتخلص من قبضتهما . فتركتها ثانياً عطفي عنها دون أن يصفو لها قلبي لما سامتنيه من الذل والجور . وأسرعت الخطى ممسكا بيد قائدي الذي شرع يطمئنني فعرفت فيه أحد الرفاق الكبار الذين يتولون الصغار منا برعايتهم ليميطوا عنهم أذى مستغليهم .

وللحال لحق بنا الاثنان اللذان صرعا العجوز وقالا لى بصوت أجش أنها لن تزعجني فيما بعد . فدب الرعب فى قلبي لانى فهمت من لهجتهما أنهما قضيا عليها غير أن الشفقة لم تأخذنى عليها لما عانيته من البؤس والشقاء على يديها .

سرت مع الرفاق الكبار الذين ناهم التعس وحلت بهم نوازل المكروه بمقدار مابلغت الى [illegible] لكنهم لما اشتد ساعدهم التمسوا ما يصلحون به حالهم دون أن يعزب عن فكرهم أشباههم الاطفال الذين يعانون كل ضروب العذابات والآلام . وحللت بدارهم حيث الفيت عدة أطفال فى سنى و مافوقه فاخبرنى أحدهم بأنه رآنى عند ماقادتنى العجوز فنقل أمرى الى أولئك فاغاثونى فعدت عندهم الى سيرتى الاولى . فكنت أجمع أعقاب السجاير وابيعها واستجدى واسرق ماتصل اليه يدى . حتى اذا دجى الليل وعدت الى مأواى دربونى وسائر الاطفال على نشل حافظات النقود من الجيوب . فاذا أعيانا أمر انسان واستعصت علينا سرقة حافظته عمدنا الى شق جيبه بمشرط واستولينا على مافيه .

وهذه الطريقة كانت فى بدء أمرها من أشق شىء عندى . فكانوا يملأون طستا ماء ويشرون على سطحه ورقة طافية ويطلبون مناقطعها بمبضع دون أن تغطس أو يبتل ظاهرها . فدأبت فى ذلك حتى قتلته مراساً ومعالجة . ولم يمض على ردح من الزمن حتى برعت فيه وبرزت سائر الاطفال .

كلفت بمهنة اللصوصية . وأولعت بالنشل لانه ينيلنى ماأصبو اليه من

الاضرار بالناس والانتقام من الانسانية التي بادأتني بالشر حالما تفتقت عيني لنور الحياة . ومابرحت تناصبني العداء . وتصليني حرباً شعواء . حتى تأصلت راهيتها في نفسي فاصبح لايلذلي غير مد يدالاذى الى الغير تشفياً وانتقاماً .

ومازلت على هذه الحالة وأنا كلما ازدادني الزمن أزداد خبرة ودراية في فن السرقة وأساليب النشل . فلم أترك مجهودا الا بذلته . ولاوسعاً الا استفرغته حتى صرت من أكثر اللصوص . وأوسعهم حيلة . وأشدهم جرأة.

ولكن ذلك لم يكن ليطفىء جمرة غلي وحقدي . لان تخفيف عبء الجيوب من المال مهما كثر لايهيظ العواتق . ولايصيب الانسان في صميم مشاعره فصح عزمي على مبادرته بالسوء في جسمه . فلجأت الى القتل وسفك الدماء . فكنت أفتك بالناس وأنا ثابت الجنان . دون أن يختلج قلبي بعاطفة حنان . بل كنت أقبل على ذلك بلذة . مستطيباً حشرجة الغير ونزعهم . منتشياً من منظر دمائهم السائلة التي كانت تنزل على فؤادي برداً وسلاماً . حتى كنت أقتل لسبب تافه أو لغير سبب . فاذا ماشتدت وطأتي على مكان وضج أهلوه بالشكوى مما نزل بهم رحلت الى غيره . حتى أثقل أمري الحكومة وعجزت عن ايقافي عند حدي . ومنع اذاي وضري . لاني كنت أفلت من الهواء لاأعلق في حبالتها مهما أحكمت حبكها .

وقد نزلت بموضع ضاق سكانه ذرعاً بمنكراتي فتشاوروا فيما بينهم على الايقاع بي . فدريت بذلك وعزمت على الاقتصاص من المحرضين . فقصدت شطر عمدة البلد وهو الرئيس المدبر للخديعة بي والمكر . وكان جالسا على باب داره في جمع من رجاله والمتزلفين اليه . فاقتربت منه بقدم ثابتة . فأوجس خيفة مني . لكني لم أمهله ليحتاط لنفسه . بل عاجلته برصاص مسدسي فخر صريعا فولى اتباعه يستطيرهم الخوف حتى لم يبق منهم احد . واقبل ابنا العمدة من الداخل على صوت الرصاص فارديتهما يندقيتي قبل ان يصلا . واسرعت الى الجثث الثلاث فمثلت بها اشنع تمثيل تشفيا لما لحقني من اذى الانسان . ثم عدت

ادراجي سائرا الهوينا كأنى لم آت شيئا إدا . دون ان يجرأ احد على الاقتراب مني او اللحاق بي .

و يتبادر الى ذهن الناس ان القتلة لاضمير لهم يبكتهم على آثامهم . لكن هذا خطأ يذهب اليه من يأخذ الامور على علاتها . فكنت اذا ماخلوت الى نفسي شعرت بضميري الغافي يستيقظ من سباته . ويجهر بتألمه من منكراتي وموبقاتي . فكنت ابين لهماحاق بي من الظلم منذ نشأتي حتى وقتي هذا . مبررا فعالي . محبذا اعمالي . فكان يتململ قليلا ثم يعود الى غفوته .

ولو اتيح لي من يعتني بي في صغري . انا وسائر الخارجين على الانسانية وربينا على قويم المبادىء وحميد الخصال لكنا ايادي عاملة في صرح الاجتماع لاايادي مخربة . ولكن شاءت الاقدار ان تكون حياتي سلسلة شقاء تبتدىء من مهدي وتنتهي في لحدي .

وما زلت انتقل من جريمة الى اخرى . ومن اثم الى غيره . دون ان ترتوي نفسي من الدماء المراقة . بل كانت تتوق دائما الى التمادي في غي والاصرار في ضلالي . حتى سطوت ذات ليلة على منزل لا بقصد السرقة . بل طلبا للقتل . ففتكت بسكانه الستة . فقبض علي فاقررت بفعلتي واطلعت المحققين على ماجنيته في حياتي وطلبت من القضاة التعجيل بالحكم علي لاتخلص من دنيا لم تدر لي غير التعاسة و الشقاء

هذا هو تاريخ حياتي المفعم على قصره بالحوادث الجسام .. ان مروعاته ليست وقفا على وحدي . بل هي نفس مايصيب كلا من هؤلاء الصبيان الذين ابصرناهم حول صندوق النفايات . والذين يملاون الازقة والطرقات . انقلب يتقطع حسرة عليهم لما يخبؤه لهم الزمن من الرزايا والخطوب .. فطالما يوجد آباء لاقلوب لهم وامهات قد تجردن من كل عطف وحنان . وحكومة لاتبالي بمن نبذتهم الانسانية من شعبها فسيبقى هؤلاء الصبية مصدر شر و وبال على سواهم وعلى انفسهم . فيقاسون في حياتهم من العذابات والآلام مالا يحتمله قلب بشر دون أن يجدوا من يكفكف لهم دمعة . او يخفف لهم لوعة .

جورجي نيقولاوس

على كرسي الموت

الحسناء المجرمة

أهذا هو البرءُ الذي هدّ داءنا ؟! أهذا هو العلمُ المحيي رجاءنا ؟!
عفاءٌ على الانسان إنْ دام علمهُ أسيراً لجهلٍ ثم نال احتفاءنا
تُميتُ بتيار الحياة (١) جناتنا فلا نقتل الجاني، ونُبقي شقاءنا
فما خُلق الانسانُ الاّ مُسيّراً وأعظمنا الأحجى يعاني عناءنا
أهذا هو التمدينُ والرحمةُ التي تُعدُّ لدى الفاني الشقيّ عطاءنا ؟!
أليست لنا خزياً، وللعلم صرخة تُغافلها ردّت علينا ادعاءنا
فإنّ أولى الاجرام أخزى ببحثنا لنقتل داءً لم يزل بعدُ داءنا
لقد أصبح الانسانُ نسلاً مضيعاً لئن قد وهبنا للكلاب اعتناءنا !
لماذا أبحنا الانتقام تناسلاً ونُبعدُ قساةً ما ذكرنا وفاءنا؟!
ألم تكُ أولى بالعقول وقاية من الداءِ لاقتل العليلِ ازاءنا ؟!

* * *

ومن هذه الحسناء في جلسة الردى معصبةً العينين تبكي ولاءنا ؟
وقد قُيدت وهي الضعيفة بيننا وقد ألبست ثوبَ الحداد فداءنا
وينبض فيها القلبُ آخرَ نبضةٍ رثاءً لها لمّا نسينا رثاءنا !
لقد حكم القانونُ بالموت مُعلناً له العدل، والقانونُ يتلو غباءنا !
فما صغرت إلاّ وفي النفس عزةٌ وما سخطت إلاّ وعافت عداءنا
وما جلست تبكي وفي سمعها سوى ملاحنِ ذاك الأمسِ تتلو غناءنا
تحقّرت الدنيا التي بعدما احتفت بها أعلنت هذا العقوق ثناءنا
كأنْ ضحكت عند البكاءِ، فليتنا خجلنا وقدّرنا البكاء هجاءنا

ابو شادي

---

(١) التيار الكهربائي



على كرسى الموت

العصور — أمام الصفحة ١٧٦

نهضة الصين الفكرية

هى الاصل فى ثورتها السياسية

طرف من آثار أدبائها ومفكريها فى ثوراتها الأخيرة

ملخصة

عن رو برت ميريل بارتلت

أستاذ الفلسفة الغربية فى جامعة برلين ومؤلف كتاب الفكر العصرى

سارت مع الثورة الصينية السياسية جنباً إلى جنب ، ثورات أشد خطراً وأكثر أهمية فى ثقافة الصين وآدابها على حد سواء .

والحق أن تلك البلاد الشاسعة المترامية الاطراف لم تنجب قائداً حربياً واحداً ممتازا . كما أنه لم يبرز فيها من الساسة العباقرة إلا الدكتور « صن يات صن » نبي الوطنية ، الذى استطاع أن يوفق بين تعاليم كونفشيوس القديمة ومقتضيات هذا العصر ، فبث فى قومه روح التوافق إلى المعالى والتحرر من رق العبودية والنوم والكسل ، تلك الصفات التى كان الشعب الصينى من ضحاياها . . فلا شبهة إذن فى أن مفكري الصين ومتأدبيها هم العامل الاكبر فى ثورتها الهائلة التى مازال مستعرة

على أن هذا ليس معناه أن ثورة الصين قامت بمجرد القلم واللسان ولم يصحبها استعمال القوة وأراقة الدماء . كلا ، وإنما نود أن نقول إن حملة الاقلام كانوا طلائع الثورة الدموية . . وهاك طرف من آثار هؤلاء الادباء والمفكرين تبين لك خطر هذه الفئة التى انجبها الشرق

* * *

لديك الاستاذ « ليانج شى - شاو » أكتب كتاب الصين والملقب بأبى الاصلاح الدستورى وقد اربى سنه الآن على الستين واسمه فى رأس قائمة المصلحين بأسنة الاقلام ، وكفاه فخراً أنه تلميذ فيلسوف الصين الاكبر « كانج يو - وى » وقد اشترك ليانج مع أستاذه فى قيادة حركة المطالبة بالاصلاح فى سنة ١٨٩٨ وهى الحركة التى

(م — ٥)

عارضها بغباء عاهل الصين إذ ذاك ، فامر بإبعادهما بغير ما روية ولا تبصر حتى أدى ذلك إلى التهاب حماسة ليانج ، فأصبح من أنصار الثورة بعد أن كان مذهبه التدرج فى الاصلاح المنشود بالوسائل السلمية

كذلك كان « ليانج تشى ـ شاو » أول من أنشأ جريدة يومية فى الصين (بكين) فضلا عن اشتراكه فى تحرير كثير من المجلات الأسبوعية والدورية مثل « الرأى السياسى » و « العدالة » و « هسين ون » وغيرها . وقد طاف فى منفاه بلاد عديدة فى العالمين القديم والحديث (أوروبا وأميركا) كما زار اليابان وغيرها من بلاد الشرق . . . . وهو لا يفتأ أينما حل وأنى رحل ينشر الدعوة لأمته وينفث روح الجهاد وحب الحرية والمعالى فى نفوس أبنائها . ولم يعد إلى الصين إلا فى سنة ١٩١١ حين دعته الحكومة التى تألفت عقب ثورة البوكسر ليشترك فى وضع النظام الذى تسير عليه ، وما هى إلا أن تألف حزب التقدم (ين شاو ـ هس) حتى انتخب رئيساً له ، وتولى فى الوزارة التى ألفت آنذاك عدة وزارات

ولعل أظهر المواقف لبسطة نفوذه وعلو مكانته لدى قومه ، موقفه فى رفض الاحد وعشرين مطلباً التى وجهتها حكومة اليابان إلى حكومة الصين فى سنة ١٩١٥ فأيده الشعب برمته فى موقفه رغم التهديدات الخطيرة التى اشتملت عليها المذكرة اليابانية إذا لم تجب مطالبها ، ولكنها تراجعت أمام ذلك الموقف الاجماعى الحازم مما زاد فى مكانة ليانج حتى استطاع أن يحصل على تأييد الشعب له مرة ثانية فى أحرج المواقف فى سنة ١٩١٧ التى دخلت فيها الصين الحرب العالمية منضمة إلى الحلفاء.

وقبل أن نعرض عليك طرفاً من آثار هذا الزعيم العظيم ، لا نرى بداً من أن نشير إلى أنه معدود الآن من غلاة المحافظين ، وقد كان قبلا فى عداد الثوريين المهيجين!! وما ذلك إلا لأن الأيام قد خلفته وراءها فأصبح مهيج الأمس ـ بعد تحقيق مطالبه السياسية أو القسم الأكبر منها على الأقل ـ يدين بالاعتدال فى السياسة ، مطالباً باصلاح داخلية البلاد على أساس انتشار التعليم على أن يسير ذلك سيراً طبيعياً دون لجوء إلى طفرة المذهب الشيوعى التى يميل اليها حزب الأغلبية (الكومنتانج) . . ولكن مواطنيه ما زالوا ـ رغم عقيدته السياسة ـ يرون فيه أحد زعماء النهضة الفكرية الحديثة كما يقرون له بالفضل فى تعضيد عدد كبير من الناشئة النابهة ، وإن

اختلفوا معه فى الرأى السياسى ، ولا يستطيع أحد أن ينكر عليه أسلوبه الصينى الجميل وسعيه إلى الاصلاح أنى وجد إلى ذلك سبيلا

وليس فى الصين من لم يقرأ كتابه « ين بنج ـ شيه » الذى يجمع بين دفتيه أبحاثاً قل أن تجتمع فى كتاب واحد من كتب الغرب ، فهو يشتمل على مقالات فى السياسة والاجتماع والآداب وكل شىء !! ومما ورد فيه تحت عنوان « الثورة والاصلاح » :

(الثورة هى القانون الطبيعى لرقى العالم واصلاحه . والاصلاح يجب أن يبدأ بالشعب وليس بالموظفين (يعنى الحكومة) ويجب علينا اذن أن لا ننتظر الاصلاح يأتينا على أيدى هؤلاء وانما نبدؤه بأنفسنا لننفذها . وليس ثم ما يمنعنا عن النجاح فى تغيير حالتنا الحاضرة بأحسن منها مادمنا نريد ذلك . على أنه ليست السياسة وحدها هى التى تحتاج إلى إصلاح . وانما نحن فى أشد الحاجة إلى رفع مستوى كل الجماعات والهيئات ولا سبيل إلى تحقيق هذا إلا ببذل الجهود صادقة مخلصة)

وقال فى موضوع بعنوان « تعليم الشعب هو أول ما تحتاج اليه الصين » :

(ان الصين فى موقف خطير جدا الآن بسبب عدم انتشار التعليم الالزامى . اننا نحكم أنفسنا بأنفسنا الآن وهذا بلاشك مصدر خصيب لنمو قوة الأمة ولكن كثيرين من شباننا قلقون على مستقبل الصين ، ويخيل لهم اننا نعانى ازمة سياسية شديدة . وفى الحق انه من العبث أن نصرف كل اهتمامنا نحو المسائل السياسية وحدها دون أن نعبأ بأصلاح الأساس وهو الأمة . ان الاستعمار (الاقتصادى) متغلغل فى كافة أنحاء بلادنا . . أليس هذا دليل على أن الصين ينقصها اصلاح شؤونها الداخلية ؟)

هذه هى الروح التى يدأب ليانج على بثها وتعهدها بالكتابة والخطابة والقاء المحاضرات ، وهو يدين بالعقيدة البوذية ، أديب اكثر منه عالماً ، وقد بسط الاستاذ « ليانج شو ـ منج » مؤلف كتاب « الفلسفة والثقافة فى الشرق والغرب » رأيه فى أهم العوامل فى نهضة الصين الفكرية فقال : « هى كتابات ليانج شى ـ شاو قبل الثورة ، ومجلة الشباب الحديثة ، لاسيما كتابات رئيس تحريرها تشن تو ـ سيو بعدها » (أى بعد الثورة)

وتشن تو ـ سيو هذا جدير بلقب زعيم الاشتراكيين المتطرفين (الراديكاليين) أنشأ المجلة المشار اليها في سنة ١٩١٥ وأمكنه ـ إذ هو عميد كلية الآداب في جامعة بكين الاهلية ـ أن يجمع حوله طائفة من المصلحين تضافروا فيما بينهم على رفع المستوى الأدبي والفكري (العلمي) والسياسي (الثوري) في بلادهم . وبالرغم من تقدم هذا الزعيم في السن فانه مازال جم النشاط الثوري ، مخالفاً في هذا صنوه شيه شاو ، إذ هو مجدد معارض للثقافة القديمة . ومن أقواله المأثورة :

(التعاليم الكونفشيوسية يجب أن تبيد ، فما هذه التقاليد البالية والأفكار الجامدة إلا قيود يجب أن تكسر . دماراً أيتها الأوهام ، وهدماً أيتها الاصنام . اخلعوا ذلك الاسلوب القديم في الكتابة وابذوا معه طريقة التفكير العتيقة واطلبوا العلم والقوة المادية)

وجاء كذلك في كتابه « موضوعات مختارة » تحت عنوان « تحطيم الاصنام » مايلي :

(هل لي أن أسألكم لماذا يجب علينا أن نحطم الاصنام ؟ هنالك أشخاص كثيرون وأشياء كثيرة لافائدة منهم وهم إلى ذلك يلقون من الاحترام العبادة والتقديس ما تلقى الأصنام . إن الشيء الذي لافائدة فيه ، بغض النظر عن حظه من الاحترام ، يجب أن يحطم ويدمر . ان الآلهة والشياطين في السماء أو في الارض لم يثبت يقيناً انها حقيقية . وتلك الدعاوى الدينية إن هي إلا كالاصنام في خداع البشر . كذلك العبارات الاخرى من أمثال « بوذا رب الارباب » و « يسوع المخلص » و « امبراطور السماء » إن هي إلا عبارات وهمية تغش الناس بمدلولاتها حتى كانوا في الازمان السالفة يعتقدون ان الملك هو ابن السماء ! وكانوا يقدسونه ويعبدونه ويعتقدون بفضله وقوته على سائر أهل المملكة . وقد مهدت هذه الفكرة للملوك طريق حكم بلادهم حكماً مطلقاً استبدادياً . على أن الملوك والاباطرة لا يستطيعون أن يأتوا بالمعجزات ، وليس لهم من عماد أو سند إلا قوة الشعب ، وها كم الامبراطور « بوبي » عاهل الصين السابق ونيقولا قيصر روسيا أصبحا بعد خلعهما عن عرشيهما أشد حاجة الى الرحمة والاشفاق من أي من سائر الافراد ...)

وقال في كلمة أخرى في الموضوع ذاته

(اخلعوا نير الأوهام والعبادات الخرافية . ان العقائد القديمة زخرفها والسياسة العتيقة والآداب البائدة ، كلها أصنام لا طائل تحتها ويجب أن يقضى عليها . لأننا لا نستطيع الجمع بين الحقائق التي يدين بها أهل هذا العصر وبين تلك المعبودات)

وكتب عن « النهضة الأدبية » فقال :

(ثلاث قواعد جديرة بأن تكتب فوق علم نهضتنا : الأولى أن ننبذ الأدب المتأنق المغالى النبيل ، ونحل محله الأدب البسيط المنسجم اى الأدب الشعبي ، والثانية سنبدل الأدب القديم المسرف ، بالأدب الجديد الصادق الواقعي ، والثالثة أن نهجر الأسلوب المعقد الملتوى الذى يقصد منه عرض مقدرة الكاتب ووفرة اطلاعه إلى ذلك الأسلوب البسيط العادى الاجتماعى الخالى من التكلف ... إن المدنية الأوروبية لم تقم على السياسة والعلم وحدهما ، ولكنها ملية بالأدب الرائع ، وإنى أحب روسو وزولا وكانت وباكون وداروين وكثيرين ممن لا يتسع مقال هنا لذكرهم جميعا ، فهل لدينا هنا فى الصين فرد واحد فى عظمة واحد من هؤلاء؟ انى لست أخشى أن أصرح بأنى إذا وجدت من لا يحترم عزمه وسمعته بانضمامه إلى صف أولئك الشياطين الثمانية عشر — يقصد المفكرين المعارضين لاصلاح الآداب وتطورها — فانى مستعد أن أسحب أضخم مدفع وأتقدم فى الطليعة لمحاربة هؤلاء الأعداء)

وقد أبدى الاستاذ تشن رأيه فى الجدل الذى قام أخيراً بين « العلوم وفلسفة الحياة » أن العلم مقدم على الميتافيزيقا ، وقد أبدى هذا الرأي فى مقدمة كتابه « الموضوعات المختارة » حيث قال :

(لقد قسم « كونت » تقدم المجتمع الانسانى إلى ثلاث مراحل ، ونحن (الصينيين) مازال فى مرحلة الاعتقاد بالخرافات الدينية : أليس أغلبنا مايزال يؤمن بالسحر وبالطوالع (البخت) وغيرها من السخافات ؟ كذلك تجد بين المتعلمين من يؤمن بالميتافيزيقا)

وذكر فى موضع آخر من الكتاب ذاته :

(لقد أبدى بعضهم أن الصين محتاجة إلى قوى ثلاث ، روح روسية ، وعلم

ألماني ، ورأس مال أميركي . ولكني أقول أننا لسنا بحاجة إلى أموال الأميركيين وإنما نحن محتاجون للجمع بين الروح الروسية والعلوم الألمانية . ومما يؤسف له أن الناس في هذا العصر يرحبون بالثروة الأميركية ، ولكنهم لا يحفلون بالعلوم الالمانية ، كما أن الروح الروسية تدخل الرعب في قلوبهم)

• • •

ويتفق مع « تشن تو - سيو » في العقيدة والنزعة الفكرية مؤلف قدير ومادي مشهور هو « وو تشيه - هوي » الاشتراكي المتطرف ، وبالرغم من كبر سنه فانه هو الآخر في طليعة المصلحين الثوريين حتى ليحسب أحياناً في عداد الفوضويين ، وقد لبث زمناً طويلا منفياً بسبب عقيدته ، وقد ألبسته ديمقراطيته واستقامته في الحياة احتراماً كبيراً . واليك ترجمة مختصرة لحياته من قلمه قال

(إني الآن في الستين من عمري ، وقد كنت في السابعة حين أعلن امبراطور اليابان عزمه على إصلاح امبراطوريته ، وكنت قد بدأت إذ ذاك أتعلم الحروف (الكتابة) الصينية وأحفظ الكتب الاربعة (المقدسة) والخمسة المنتخبات الأدبية القديمة Classics وأشحن ذهني بالمقطوعات المشهورة . فلما بلغت العشرين بدأت أهتم بدراسة النقد وأصبحت من أشد المعجبين بمتأدبي أسرة « هان » واتجهت مطامعي إلى كتابة فصول في النقد إذ كنت أجد المجال فسيحاً أمامي في أحوال الصين وتقاليدها . ولقد كتبت إذ ذاك عدة مقالات هيجة ضد الكنائس الاجنبية وحرضت الناس على حرقها ، وكنت أعارض فكرة الجمهورية استناداً إلى التعاليم القديمة ، وكان الرأي عندي أن الامبراطورية (البلاد) الواسعة لا غنى لها عن ملك . . . وفي الثلاثين من عمري حضرت إلى بكين لتأدية الامتحان ولكني سقطت . وكنت إذ ذاك أقيم مع طالب ناجح هو « وانج بنج - ميان » فزارنا يوماً « تشانج تشين » تلميذ رئيس الوزارة في ذاك الوقت « ونج تسينج - هو » وأخبرنا أن مفكري الصين وقادة نهضتها قرروا تأييد رئيس الوزارة في موقفه الذي قرر فيه اعلان الحرب على اليابانيين الاقزام . وبعد أشهر قليلة أذاع الامبراطور نطقاً سامياً أمر فيه بضرب العدو الضربة القاضية ، وكان الناس يعتقدون وقتئذ أنه لن يمضي

أيام قلائل حتى تسحق الجزر اليابانية الثلاث عن آخرها . ولكن أخبار الحرب جعلت تتوالى من سيء الى أسوأ . وبعد أربعة أشهر قطعت رأس القائد الصينى الذى خسر المعركة على حدود منشوريا . فى ذلك الوقت قدم « كانج يو - وي » مذكرته المشهورة الى الامبراطور ونشره ليانج شي - شاو « قائمة الكتب الاجنبية التي يجدر بالناشئة الصينية مطالعتها ودراستها » وجدت خيرا من أن أسير فى ركاب هذين الرجلين العظيمين .. والآن ! اليس من دواعي الأسف اننا بعد مضي ثلاثين سنة على هذا الحادث الجلل ما يزال تعليمنا صوريا وصناعتنا كما هى لم ترتق ولم تتقدم والاصلاحات التى نحن فى أشد الحاجة الى اجرائها ما تزال فى المهد ؟ نرى الاجانب يحملون من عندنا التماثيل الصينية والمقالات الادبية القديمة من نتاج ذلك العقل البالى ولا يزالون ينقبون بين الأوحال كأنما فى ذلك الماضى يجدون الطعام المقدس !! وها أنذا الآن ما أزال مضطرا لأن أكتب مقالات مثل التى كان « ليانج شي - شاو » يكتبها منذ ثلاثين سنة !! أواه أيها الشرق المريض ، حقا يظهر أن مرضك مستعصى الشفاء !)

والمستر « وو » من أشد معارضي شاعر الهند الاكبر وفيلسوفها المشهور طاغور ، وهو لم يتحرج عن عقد مقالا لاذعا خلال زيارة الشاعر الهندى لبكين . والمستر « وو » له أسلوب خاص فى الكتابة يمزج فيه اللغة الفصحى باللغة العامية وتتخلل كتاباته لذعات حادة فى كثير من الجرأة والصراحة . من ذلك حملته العنيفة على « تشانج تشون - ماي » زعيم المدافعين عن النظرية الروحية فى « الجدل بين العلم وفلسفة الحياة » فقد سماه هو وانصاره « طواغير » (جمع طاغور) الهند . وللمستر « وو » مؤلف قيم فى هذا الباب أطلق عليه (نظرية جديدة فى خلق العالم وفلسفة الحياة) جاء فيه بآراء طريفة وأنكر فيه وجود الله مؤيدا الرأى القائل بأن الاساس المادى أقرب الى التصديق من الاساس الروحى وختم تلك الرسالة بأعلان أن عقيدته انما هى الفلسفة الفوضوية . « كل انسان يعمل مايستطيع ويحصل على ما يريد » . وهو الى هذا وذاك متفائل بالحياة بدليل ما جاء فى احدى كتاباته حيث قال . « سألنى أحدهم : هل أصبحت متشائما ؟ وهل قعدت عن العمل ؟ الحق انى قعدت عن العمل زمنا ما ، ولكنك لن تجد ابدا كلمة التشاؤم فى قاموس « وو شي - هوى » الفلسفي »

ولن تكون دراسة الصين المعاصرة كاملة من غير اشارة الى (المرحوم) الدكتور

صن يات صن واضع كتاب « النظريات الشعبية الثلاث » الذي أكسبه لقب « ابو الجمهورية الصينية » و مؤسس أول حزب سياسي في تاريخ الجمهورية

ولقد كان الكثيرون من زعماء الاشتراكيين المتطرفين (الراديكاليين) أصدقاء للدكتور صن فتأثروا بتعاليمه حتى أن لياتج شي ـ شاو ، ولو أنه يميل الى مبادىء حزب الشعب ونظرياته ، يقود حزب التقدم الاشتراكي غير المتطرف

أما « وونتي هوى » فأنه كان ملازما للدكتور صن أثناء اقامته في لندن وقد وضعا أثناء اقامتهما فيهما الخطط اللازمة لينهضا ببلدهما ولهيا فيها نار الثورة

وهناك كثيرون غير هؤلاء كانوا محيطين بالدكتور صن وقد كان هؤلاء صفوة متعلمي الصين ومتأدبيها وهم الذين اذ كوا نار النهضة في بلادهم وان كانت قد ذهبت تلك الوثبة بارواح كثيرين من أخوانهم ، إلا أنها ايقظت الباقين بعد ان كان الجميع في سبات عميق .. الموت أفضل منه

وبالرغم من أن حزب الشعب قد انقسم الى قسمين أحدهما شيوعي والآخر وطني ، فان شخصية الدكتور صن ماتزال مرفرفة على القسمين . و يهتدى أفراد كل منهما بهتونها

ولنقرب شخصية الدكتور صن وأثرها في الصين الى ذهن القارىء العربي نقول انه عندهم قد يكون أجل من سعد باشا في مصر ، لو أن في الاجلال تفاوتا ! ـ فآلاف من صغار الطلبة في الصين يقرأون كل يوم وصيته الأخيرة لقومه ، تلك الوصية التي يكادون يقدسونها في الصين ، لو لا أن الحركة الفكرية هناك تحاول ابعاد الناس عن فكرة التقديس والعبادة على أنواعها .... هي حركة تحرير الفكر . وآلاف من الموظفين والمشتغلين بالسياسة وبنهضة بلادهم مايزالون يطالعون الى اليوم البرنامج الذي وضعه صن يات صن للسير بمقتضاه . أضف الى هذا اثنتى عشرة جامعة في الصين تحمل اسمه

ولم يكن الدكتور صن سياسيا محترفا ، بل إنه ترك مهنته في الطب واشتغل بالصحافة وكان ثوريا وكان فاتحا يوتوبياً .



لوسين

ليانغ شي شاو

شو تسو — جن

الدكتور هوشي

كانغ يو — وي

اقرأ مقال « نهضة الصين الفكرية » ص١٧٧

ومن حضروا الدكتور صن وتأثروا ببيئته « لو سن » زعيم القصصيين الصينيين وأحد أعمدة حركة الثقافة الحديثة فى الصين ، واسمه هذا مستعار يوقع به على كتاباته ولكن اسمه الحقيقى « تشو شو ـ جن » وقد قضى عشر سنوات يتلقى العلم فى اليابان وبدا ميله للطب ولكنه كان يقضى جزءا كبيرا من وقته يطالع الادب الروسى وغيره ، وكان يرافقه أخوه « تشو تسو ـ جن » وهو الآن معدود أقدر كتاب الصين الناثرين قاطبة ، وقد تعاون الاخوان فى ترجمة كثير من القصص الروسية والبولونية وغيرها من قصص بعض ممالك جنوبى أوربا ، وكان ذلك أثناء دراستهما فى اليابان ثم عاد الاخوان الى بلادهما وقد وهبا نفسيهما للادب ، وانصرف « لوسن » عن الطب كما انصرف قبله تشيكوف وشنيتزلر Schnitzler واو ليفر وندل هولمز . لغزو ميادين الادب ، ومع أنه مايزال فى الثامنة والاربعين من عمره الآن ، فأنه يعتبر سيد الكتاب الصينيين المعاصرين فى الادب الواقعى لاسيا القصة (الصغيرة)

وهو متأثر جدا بالادب الروسى الى حد أنه قال « لقد وجدت فى ثقافة روسيا مالم أجده فى سواها ، والحق ان هناك علاقة عاطفية بين الصين وروسيا ، ورابطة طبيعية لتوافق مزاجيهما ، وان أحب الكتاب الى هو تشيكوف ، كما أحب أيضا جوجول وترجنيف ودستويفسكى وجوركى وتولستوى واندريف ونيتشه وشيلر ، ولقد ترجم من الادب الروسى فى الصين أكثر مما ترجم من اية لغة أخرى ، وهذا راجع الى تلاؤم الظروف السياسية والروحية فى البلادين ، اذ ان الصين تواجه نفس العقبات الاجتماعية التى يوجه القصصى ذهنه وقلبه للقضاء عليها » ثم قال « وقد يكون المستر ليانج شى ـ شاو يخاف الروسيا . أما أنا فلا »

ولا يكاد عدد من مجلة الشباب الحديث الصينية يخلو من قصة للوسن ، وقد بدأ ينشر هذه القصص منذ سنة ١٩١٨ ، وكان يكتبها تحت عنوان « مذكرات مجنون » ، وقصصه تحمل بين طياتها روحا من العطف والحنان تذكر قارئها بدستويفسكى ومكسيم غوركى . ومماقاله عنه رومين رولاند القصصى الانجليزى الكبير « هذا نوع من الفن الواقعى المفعم بالسخرية اللاذعة والتهكم الحار ، ولن يفارق مخيلتى ابدا ذلك الوجه العابس المتألم الذى صوره هذا الكاتب فى قصته التى عرض فيها فلاحا صينيا جاهلا تعذر تفهيمه معنى الثورة فى سبيل انهاض بلاده » .

ومن أقواله . « إن الكونفشيوسية والبوذية قد ماتتا ولن تقوم لهما بعد اليوم قائمة . ليس هناك إله ، العلم والاخلاق وحدهما يكفيان . إن الصينيين ليسوا متدينين بطبيعتهم ، وانما هم مصابون بداء الكسل . وستقف الحروب (الداخلية) عندما يهبون للعمل (تأمل !) . ولن يلبث مرض الصين أن يشفى إذا ما تفشى فيها العمل والعلم » .

. . .

والشاعر القصصي « كومه ـ جه » مثال آخر من أمثلة رجال الثورة المتأدبين وقد تلقى هو الاخر علومه الابتدائية فى اليابان ـ ولا يخفى أن اليابان مشربة بالروح الغربية ـ ولم يلبث أن أصبح من الكتاب المبتكرين ، وشاعراً ثورياً ذرب اللسان وهو يشترك مع طائفة من أقرانه فى تحرير مجلة « الفيضان » وغيرها من الصحف الاشتراكية المتطرفة . ومن مقال له بعنوان « ضمير الفنان » يقول

(لقد امتدحني البعض وذمني آخرون بشأن المقالات الاجتماعية التى كتبتها اخيراً فى مجلة الفيضان . ويقول خصومي ـ أنت معروف بأنك أديب ، ويكفي الأديب أن يجول فى الشعر والقصص ما شاء له أدبه ، وانما لا يجدر به أن يناقش النظريات الاجتماعية . والظاهر من هذا أنهم يريدون حرمان الاديب من طرق ميدان من ميادين الفكر . وليس لى ما أرد به على هؤلاء . إلا أن أقول لهم إن كليمنصو كان مؤلفاً روائياً وبرودون الفوضوى كان فى أول عهده شاعراً . . ويبدى فريق آخر أسفه على أنى لم تظهر لى قصص ولا شيء من النظم منذ بدأت أوجه همى نحو المسائل الاجتماعية ، ويؤيد هذا الفريق حقه فى الاسف بأن خروجى من صفوف الادباء خسارة فادحة !! إنى أشكرهم على هذا المديح . . وأطمئنهم بأن ليست هناك أدنى خسارة . ولكننى أقول للاولين أنه لم يحدث فى أية أمة أن قال أحد للادباء لا تكتبوا فى المسائل الاجتماعية !! إن النشاط الفكرى للانسان لا يمكن حده وقصره على ناحية دون أخرى . . ولا شك أن لكل أديب مثلا أعلا فى الاخلاق والجمال والعاطفة والذكاء يعمل لتحقيقه . فليس هناك إذن ما يمنع الفنان من أن يصول ويجول فى كل ميدان من ميادين الفكر مسترشداً بالهامه ومهتدياً بمثله الأعلى . . إن العالم

ليس به أحد مثل روبنصن كروزو يعتزل الدنيا بما فيها ليعيش فى جزيرة مهجورة قاحلة !! والانسان لا يستطيع إلا أن يحتك بغيره ويتأثر بالروح الاجتماعية حتى يتابعها بنشاطه ، إذ يجب أن يكون هناك تلاؤم بين العمل و بين الشخص أو الهيئة التى يراد بها أن تنتفع من نتائج هذا العمل ، على أن الفن ذاته هو نتاج العصر والبيئة ، فالشعراء الذين ماتوا قبل اختراع السينما لم يكن فى استطاعتهم أن يصفوها متأثرين بالمناظر التى تعرضها مثل الشعراء الذين عاشوا فى زمنها . . فكيف إذن يستطيع الكاتب أن يمتنع عن الخوض فى المسائل الاجتماعية التى يعيش فى كنفها ؟

ثم إن الفنانين من وجهة النظر الوصفية ، يستطيعون تشخيص الأدواء الاجتماعية أكثر من غيرهم ، لأن حسهم أدق من حس الرجل العادى ، وهم أول من يشعر بآلام المظلومين وأناتهم ، ويثيرون الطريق للاصلاح ، بل إن تقدم الفن نذير الثورة — أو بشيرها ؟ — والثورة الفرنسية ذاتها قد قامت على أسس الآداب الايطالية وعلى تعاليم روسو وفولتير ، وثورة العمال العالمية خلقها كارل ماركس وقد كان شاعراً فى شبابه ، كما أن تولستوى وتسكى رسل الثورة العالمية ليسا إلا أدبيين)

* * *

وفى زعماء النهضة الفكرية فى الصين من هم فى عداد الشبان ، مثل « هو شى » وهو دكتور فى الفلسفة من جامعة كولمبيا ، وبالرغم من حداثة سنه فانه ذو نفوذ كبير لا سيما بين أوساط الطلبة ، وله مؤلف قيم باللغة الانجليزية بعنوان « وصف الأسلوب المنطقى فى الفن» An Outline of the Logical method in China دل فيه على علو كعبه فى الثقافة الغربية ، وهو الآن معدود أكبر مستغرب (على وزن مستشرق) فى الصين ، وقد وضع عدة روايات أدبية تعد من مفاخر هذا العصر ، وطبق النقد التاريخى على فلسفة الأديان فى موضوعات جمة بأسلوب جميل رشيق ، لا عمل على ترقية اللغة الوطنية بأن كتب أشعارا بلغة وسط بين العامية وبين الفصحى ، وعرف قومه بكثير من فلاسفة الغرب وكتابه حتى أصبح حجة فيما اختص به ، وهو يصدر الفينة بعد الفينة كتباً صغيرة سهلة المأخذ واضحة العبارة أسماها « رسائل هوشى » يرمي بها إلى نشر المعرفة والآراء الحديثة ، ومن بين تلك

الرسائل واحدة بعنوان « معنى التجديد Renaissance » كتبها عام ١٩١٩ جاء فيه

(يقول تشن تو ـ سيو إن التجديد الأدبي العلمي يدعم الديموقراطية وينشر الروح العلمية . فلأجل أن ندعم الديموقراطية يجب علينا أن نعارض الكونفشيوسية والتقاليد والعادات القديمة ، ولأجل أن ننشر العلم ونوره لا بد لنا أن نحارب الفن القديم والعقائد القديمة والآداب العتيقة والثقافة القومية البالية

(وهذا ولو أنه واضح جلي إلا أنه ليس بمنطقي . لنفرض أن سائلا ألقى علينا هذا السؤال ـ لماذا نريد أن ننشر العلوم وندعم الديموقراطية ، ونعارض الثقافة والآداب القوميتين ؟ لا ريب أن الجواب على ذلك هو أن الثقافة والآداب القوميتين مضادتان للعلوم والديموقراطية . وهناك سؤال آخر ـ كيف السبيل إلى مقاومة المعاهد والهيئات المخالفة لهذا المذهب ؟ وهذا في الحق سؤال ليس من السهل الاجابة عليه . والرأي عندي أن المعنى الصحيح لاحياء العلوم هو توجيهها نحو اتجاه جديد وخلق روح جديدة ، سمها روح النقد إذا شئت ، وروح النقد هذه هي اعادة النظر فيما هو حسن وفيما هو غير حسن

(فأولا يجب علينا البحث في العادات الموروثة . هل من تبرير بقاءها ؟ ثانياً ـ هل آراء الحكماء الأقدمين ما تزال صحيحة إلى اليوم ؟ ثالثاً ـ هل تلك المعتقدات السخيفة التي تسيطر على عقول أغلبية الجماهير تقوم على أساس ؟ هل يجدر بنا أن نسير على نهج أسلافنا وتقاليدهم ؟ أم هل هناك أشياء جديدة تعود علينا بربح أكثر ؟

(قال نيتشه ـ « في هذا العصر قد حان وقت تصفية جميع الأشياء النفيسة وتمييزها على بعضها » . وهذا هو التفسير الدقيق لعبارة « الروح النقدية » . لقد كان نساؤنا يضعن القيود في أقدامهن ليحتفظن بصغر حجمها مبالغة في تجميلها ، ولكننا أصبحنا الآن نستنكر هذه العادة القديمة الفظيعة . . ومنذ عشر سنوات (أي قبل سنة ١٩١٠) كان الضيف إذا نزل على قوم يقدمون له الأفيون الذي حرمت شرائع هذا العصر تعاطيه . كذلك كان « كانج يو ـ وي » قبل عشرين سنة من أنصار حزب التقدم ، وهو الآن من المحافظين . فهل غير كانج يو ـ وي أي شيء في نفسه ؟ كلا ، وانما الشعب هو الذي غير آراءه ، وهذا هو الذي اسميه تصفية الأشياء النفيسة وتمييزها على بعضها) .

وجاء في مقال آخر له بعنوان « نظرتنا الى المدنية الغربية الحديثة » ونشر في يوليو سنة ١٩٢٦

(يقول بعض الناس فى هذه الايام بآراء لاتقوم على أدنى أساس فضلاعما تنفثه من سموم فى أفكار الجمهور. إذيزعمون أن المدنية الغربية تقوم على المادة وحدها بينما تقوم مدنية الشرق على الروح، و يتخذون من ذلك السبيل الى وصم المدنية الغربية بأشنع الصفات، و الاشادة باحترام المدنية الشرقية . . . ان روح المدنية الغربية تمتاز بأنها تعترف الى أقصى حدو د الاعتراف باهمية التمتع بالمادة، وعلى ماأرى تقوم المدنية الغربية على ثلاث قواعد رئيسية أولا ـ ان الغرض من الحياة هو البحث عن السعادة، ثانيا ـ ان الفقر يكون خطأ بناء على ذلك، وثالثا ـ ان اعتلال الصحة خطأ كذلك

(صحيح ان النظرة السطحية فى الفنون و العلوم والقوانين الغربية قد توحى الى الناظر وتظهره على اشياء كثيرة ظالمة غاشمة مخزية فى تلك المدنية، ولكننا مع ذلك لانستطيع إلاان نسلم بأن الروح الحقيقية لها انما هى اسعاد البشر وزيادة سعادة الحياة وقيمتها. ولنتسامل الآن ـ هل صحيح ان هذه المدنية التى تعمل لرفع مستوى الحياة قد أهملت حاجات النفس والعقل؟ هل هى فى الحقيقة مدنية مادية صرفة؟ ليكن جوابنا على هذين السؤالين فى جرأة، كلا. ان المدنية الغربية لاتهمل بأى حال حاجات النفس البشرية، بل هى قادرة على اشباع نفس الانسان وعقله إلى حد لم تحاوله المدنية الشرقية فى أى عصر من العصور. فان هذه تحث على الرضى بماهو مقسوم، وتنادى بفضيلة الفقر، وسبيلها لارضاء السماء (الله) هو عدم الاعتراض والمقاومة، والصبر على الاذى، بينما الأخرى تبث تعاليم عدم الرضى بالمقسوم، ولابالفقر، والرغبة عن احتمال الأذى، وتناحر البقاء، وهى أبدا ترمى الى تقدم النوع البشرى وتحسين أحواله. وبينما تسمع الشرقى يقول ـ هكذا اراد الحظ، تجد الغربى يقول ـ ان التفاوت فى الغنى والفقر يرجع أثره الى البيئة والنشأة، فاذا كانت البيئات رديئة فأنه يمكن اصلاحها.

(والغربيون أبدا فى نزاع، ليس فى سبيل السلطان والمال، وانما هم يحاربون فى سبيل الحرية والاخاء والعدالة. والتناحر على البقاء الذى تثيره مدنيتهم ليس تناحرا يقصد به الى مصلحة الأفراد، وانما يرمى إلى إيصال الخير الى اكبر عدد ممكن من المجتمع. وبديهى انه لايمكنك ايصال الخير الى الناس بالجلوس متربعا مرددا اسم بوذا!! بل يجب عليك ان تعمل بجهد غير قليل و لاملل لتصل الى ذلك

(والآن ياأخوانى ـ اى المدنيتين صادفت هوى فى قلوبكم؟)

تاريخ التمثيل

(٣)

الدرام الساتيرية

لبثت الفواجع تتدرج بين ايدى هؤلاء الشعراء حتى تقلص ظل كل غريب فيها ، فانتفت منها الصبغة الساتيرية Caraetères satiriques ولم يستهل القرن الخامس حتى لم يعد لفرقة لابسي جلد العنز Satyre أثر فيها ، غير أن هذه ظهرت بمظهر جديد ، متقمصة فى شكل لا يختلف كثيرا عن شكلها الاصلى ، فاطلق عليها وهى فى زيها الحديث اسم الدرام الساتيرية .

ولم يتهيأ لنا احاطة التام عن منشأتها ، ولا توصلنا لمعرفة كيفية تدرجها من الفواجع الى الدرام الساتيرية ، لان الحقيقة لبثت منغلقة فى مجاهل القدم ، لم ترشح الينا بما يصح التعويل عليه لاضطرابه وتناقضه وانتفاء الثقة باقيه

فقد قيل ان الشعب كان شديد الشغف بجوقة لابسى جلد الوعول ، فلم يطق صبرا على فراقها ، فالح فى طلبها باسم الدين محتجا بانه لم يعد تمت شىء فى الفواجع لديونيزوس ، فاضطر المؤلفون الى النزول على ارادته ، فاوجدوا الدرام الساتيرية .

و يتبادر الى الذهن فى صحة امرها ، ان التعديل الذى ادخله تسبيس فى نشيد ديونزوس او نشيد الاشراف Dithyrambe قد اثر فى البلدان المجاورة لاثينا ، فشرع اهلها فى النصف الاخير من القرن السادس فى وضع فواجع ، غير انهم لم يترسموا خطاه فى اقصاء فرقة لابسى جلد الوعول التى اعتادوا رؤيتها منذ القدم حتى تأصلت فى نفوسهم ، بل افردوا لها دور المازجين والراقصين Chœur ولذلك وجد بازاء الفواجع الاثينية التى استخلص منها الساتير ، فواجع اخرى بلوبونيزية منسوجة على منوال هذه لكنها محتفظة بفرقة المتمنطقين بجلود العنز .

وقد نقل هذه الفواجع الى اثينا فى القرن الخامس ، الشاعر براتينلس الذى لم يرو لنا التاريخ شيئا كثيرا عنه ، سوى انه اول من وضع الدرام الساتيرية ، وانه تبارى فى اثينا مع ايشيل وكوريلوس فى الاولمبية السبعين (٤٩٧ — ٥٠٠)

ويغلب على الظن انه انما يمم اثينا ليقارع الحظ فى مبارة الفواجع ، فقدم فاجعة

ذات ساتير، عموها بانها عادية فاصابت نجاحا باهرا، حبب فرقة لابسي جلد الوعول ثانية الى قلوب الاثينيين، لكن هؤلاء ابوا نبذ فواجعهم ذات مواضيع البطولة البحتة فارتأوا قرن الاثنين، ونصوا على وجوب تقديم اربع قطع تمثيلية للجنة المباراة، ثلاث منها فواجع اثينية، والرابعة درام ساتيرية، ففاز براتيناس فى كل المسابقات، ولبث فى حياته استاذا لفن الدرام الساتيرى، يحتذى حذوه الشعراء ويضعون على طريقته.

ولم تكن هذه الدرام الا فاجعة ذات شكل خاص، شبيهة بالفواجع الاولية، غيرانها كثيرة الاقتضاب، اذ قلما يتجاوز اشخاصها الاثنين عدأ، متخذين من نفس طبقة الآلهة او الابطال. وكانت جامعة بين الحوادث المرعبة الهائلة، وبين ضروب المجون والهزل، وتمتاز بالتضارب البين فى حالات اشخاصها. فبينما هم ذو و رأى ودهاء اذ بهم هزال جبناء لاعزم لهم ولا حزم، ولم تكن الغيلان بمعزل عنها، غيران ختامها كان سارأ لا اثر للشجن فيه، وتخيم على موضوعها سحابة من الخشونة المستمدة من طبا الساتير، لكنها لم تكن تتجاوز الحد.

ولم يبلغ هذا النوع الساتيرى الشأو الذى بلغته الفواجع، رغما عن جمعه بين تباين الاهواء وتضارب النزعات، عالا اثر له فى الفواجع.

تركيب الفاجعة

لقد اشتقت الفاجعة من نشيد الاشراف بتطرق العامل القصصى اليها. وتألفت فى بدء امرها من قطع تسرد وقطع تنشد، وقد طرأ عليها تغيرات جمة، تقتصر على ما كان منها اشد تأثيرأ فى تكيفها وتدرجها من حالتها الاصلية الى شكلها المدرسى (Classique)

فقد حلت المحاورة محل التلاوة، وتبوأ العامل الفاجعى Element tragique المنوه عنه بالمحادثة، مكان العامل الغنائى الذى كان اس الفاجعة، ولبث راجحا على ماعداه من العوامل حتى عهد ايشيل، غيران هذا التغيير لم يتناول الجوقة، ولا البساطة الاساسية لسياق الرواية، ولم يكن الحوار — حسب تعريف ارسطو — الاجزء الفاجعة الذى يسبق دخول الجوقة، وقد جعل ايشيل هذا الدخول فى بعض رواياته، عند ابتداء التمثيل، غيرانه رغب فى شيخوخته عن هذه العادة القديمة، فاصبحت المحادثة دورا تمهيديا بين وقائع الفاجعة، وكانت تارة مخاطبة، وطورا مناجاة Monologue .

واذا لم نعر هذا التمهيد التفاتا، الفينا الفاجعة تنقسم الى بضعة اجزاء اصلية تسمى

حوادث Episodes تطابق الفصول عندنا ، تبتدىء بنشيد الجوقة ، وتختتم به ، يتخلل الغناء احياناً ، رقص رزين هادىء فيترك فى التمثيل فترات يبقى المسرح فيها خلواً من الممثلين .

وكان النشيد كثير الاتصال بالقصة ، يبين وجوهها ، ويبدى تقلباتها ، ولكنه أخذ فى الانفصال عنها تدريجا ، حتى انفصمت كل صلة تربطه بها ، فتحول مع توالى الزمن الى غناء قائم بنفسه جعل لانشراح الصدر ، وجلاء الفكر واعداد الذهن لتتبع سير الرواية بصفاء وجلو .

ولكن هذا التحول الذى تم عند اول القرن الخامس لم يبد جلياً لدى كبار الشعراء المدرسيين ولذا لم نأبه به .

وكانت الحوادث تتضمن علاوة على قطع المحاورة اغانى قصيرة للجوقة تسمى نشيد الحوادث Episodiques ومحاورات غنائية بين الممثلين والجوقة ، ومكالمة بين ممثلين ونشيد لبطل الرواية يردده سائر الافراد .

ولم تكن الحوادث تتم قياسا عموميا كمعهودنا الآن ، بل كانوا يطلقون لها اعنة المدى فتضم الرواية الواحدة حوادث بعضها شديد القصر ، وبعضها عظيم الطول ، وآخر بين بين .

ولما لم يكن عددها مبيناً بدقة ، اقتصروا فى اول الامر على اربع يضاف اليها الاستهلال Prologue ولكن شعراء القرن الخامس ، ولاسيما سوفوكل ، لم يتقيدوا تقيداً تاماً بهذه القاعدة التى حتمها هوراس فيما بعد .

اما التقسيم الى خمسة فصول ، الذى لم يتخذ اساسا الا فى الزمن الاسكندرى اى بعد العصر المدرسى ، فان التاريخ لم يترك لنا من امره مايصح الاعتماد عليه .

سير الحوادث

الوحدات

لقد كان يترتب على هذه الاجزاء ، ان تكون متساندة متتالية لايثلم تتابعها ثغرة ، لأن التسلسل روح الفاجعة ودعامة تركيبها ، ولولاه لتفككت حوادثها ، وانفصمت عرى وحدتها .

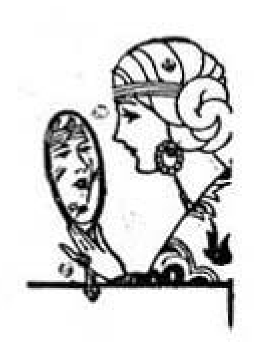
وقد تقدمت الفاجعة اليونانية بتوالى الزمن تقدما محسوساً ، فعرفت بعض المعرفة

مزية ترتيب الحوادث ، وتأثير المفاجآت ، ووقع الخاتمة فى النفس ، غير أنها قياساً على القواجع الحديثة ، غاية فى البساطة وسقم التركيب ، فقد كانت قليلة الحوادث بسيطتها ، لا يفكر المؤلفون فى تنويعها وتشعبها وتضارب وقائعها وتباين طوارئها ، ولم يكن أشخاصها موضحين بأجمعهم فى التمهيد (Exposition) ولا محتشدين فى آخر الفصل ، فكانوا يظهرون حين الاحتياج اليهم ، ويختفون بعد انتهائهم من عملهم ، وما ذلك الا لقلة الممثلين ، وكثرة الاشخاص . فقد كان هؤلاء يفوقون أولئك عداً ، وهذا ما جعل الفاجعة تحتفظ فى كل أطوارها بالبساطة التامة .

وقد اعتاد ارسطو أن ينسب إلى الفواجع اليونانية عموما احتواءها على العقدة Noeud والخاتمة Dénouement والطوارىء التى تصيب بطل الرواية Péripéties

ولكن تفهم هذه الصفات بمعانيها المحدودة ، ينقل إلى ذهن القارىء صورة غير حقيقية لفواجع القرن الخامس . لأن العقدة فى هذه الروايات كانت هادئة ساكنة تمتد إلى ما بعد الحادث الختامى ، فتنتهى فى أكثر الاحيان بتتمة لا يصح السكوت عليها أشبه بتسكين نسبى دون أن تحزم بختام بات .

جرجى نيقولاوس



اميل لودويج
Emil Ludwig
نفسيته — وكيف يكتب التاريخ

أتى اميل لودبج مصر فقابله كتابها . ودعت عقيلة سفير المانيا كل المشتغلين بالصحافة إلى حفلة شاى أقيمت فى منزلها لتقدم اليهم هذا العلم الفرد . فأموا دارها وتعرفوا بالزائر الكريم . و نشروا صورته فى جرائدهم ومجلاتهم ، واهتموا بسرد حوادثه ، ووصفوا حله وترحاله . لكنهم لم يكتبوا شيئاً عن فنه وعبقريته . فخيل الينا ونحن نقرأ ما اختصوه به أننا نطالع أخباراً عن شخص عادى أوجدته الظروف فى مركز سام ، لا عن كاتب قد نقلت مؤلفاته إلى أكثر اللغات ، واهتم بها العالم بأسره

لودبج مؤرخ يستوحى أبطاله

اعتاد المؤرخون أن يدونوا الحوادث اعتماداً على الوثائق التى تقع تحت أيديهم ، دون التفات إلى ماعداها ، ولا تطلع إلى درجة صحتها ، أو قابليتها للعرف . ولذا كانت كتاباتهم لاتمس غير العقل . أما اميل لودبج فمؤرخ يستعين بالوحى والخيال على دعم وثائقه التاريخية ولذلك لم تقتصر كتاباته على العقل بل خاطبت تصوراتنا وتسللت إلى عواطفنا .

فاذا ما أراد أن يدون تاريخ شخص ظل شهوراً بل سنين يستعرض هذا الشخص فى مخيلته فيستوحى فعاله ، ويستنزل إلهامه ، و يعيش كل هذه المدة متقمصاً فى شخصيته كما قال عن نفسه . فيبدأ أمره بمعرفة الرجل الذى سيكتب حوادثه ويستجليها . ويتغلغل اليها فيزور الامكنة التى عاش فيها . ويحصر فكره فى فعاله وأعماله . مستقصياً دقائقها ، مستبطناً أهم شىء فيها . فيجتهد والحالة هذه فى أن يرى ببصيرته تلك الشخصية كما كانت فى حياتها ، وهى تدأب وتفكر

ومن ثم يتخيل البواعث التى أهابت بها فى المواطن العصيبة ، وحالتها الفكرية فى مواقفها التاريخية ، والدوافع الخفية التى كانت تحرك عواطفها ، وتستثيرها فى أهم أعمالها . فيتصور بذلك أبطال التاريخ بوضوح وجلاء ، ويندمج فى حياتهم

الداخلية والخارجية حتى يبدوا له كأنهم أحياء . يأتون أعمالهم — حتى الخصوصية منها — بمرأى منه ومسمع . فيفوز منهم بما لم يفز به أصدقاؤهم الذين عاشروهم . لانهم لم يتوصلوا إلى استجلاء خوافى نفوسهم

وقد اتبع هذه الطريقة عندما ألف تاريخ نابليون ، فقد تسلل إلى سويداء نفسه فابدى مكنوناتها ، وأظهر ما انطوت عليه ، حتى أنه يؤكد أن ما عزاه اليه غداة واقعة الاهرام ، يكاد يكون كله حقائق واقعية ، لا يمسها الخيال

وكذلك كان تصرفه بتاريخ جوته وبسمارك والامبراطور غليوم . ولذا أقبل الناس على مصنفاته فقرأها بلذة وطالعوها بشوق عظيم .

وقد عاب عليه المؤرخون طريقته هذه وسموها التاريخ القصصى لكن العالم أجمع على أنها أحسن طريقة لجعل أشخاص التاريخ أحياء يتحركون ويعملون تحت أنظار القراء ، فيطالع هؤلاء على حوادثهم وهم يكادون يحسونهم ويرونهم باعينهم . لان المؤرخ مهما تقيد بوثائق التاريخ لابد أن يضع فى كتاباته شيئاً من روحه . فالوثائق لاتعبر إلا عن الحوادث الظاهرة البادية للعيان ، وهذه لاتكفى للحكم على شخصية بارزة فى عالم التاريخ وايضاح الدوافع الخفية التى سيرتها وهيأت طريقها فيوليت تين نفسه ، ذلك المؤرخ المدقق ، الذى يزن أقواله بميزان الروية والفحص لم يسلم من هذا (الخطأ ؟) الذى يعيبونه على لودويج ، فقد وضع فى تاريخه أشياء عديدة من نفسه الكبيرة ، ومخيلته الواسعة ، وقريحته الفياضة . حتى أن تاريخه : « أصل فرنسا الحديثة » لم يستمع إلا لذلك

وموسن لو لم يضف إلى كتابه : « التاريخ الرومانى » أشياء من نفسه لما أقبل عليه الناس يستذوقونه بلذة

ولكن اميل لودويج بز كل هؤلاء ، فهو يضع فى أبطاله نفس الروح التى كانت تحركهم وتسيرهم فى حياتهم ، ويستوحى هذه الروح فتلهمه كل ما يريد أن يثبته سواء كان من معالم الظاهرة ، أو من دوافعهم الخفية

هذه نبذة صغيرة ألمنا فيها بنفسية هذا الكاتب الكبير إلماماً بسيطاً مبينين نزعته وطريقة كتابته للتاريخ

ج . ن

البهائية أيضا

رجع القاضي الفاضل عبد الجليل بك سعد الى ميدان البحث متشحا برداء إسرافيل البهائية فرحباً بقدومه . يعرف القاضي الفاضل انى لا أعترف بوجودشيء اسمه البهائية الا في جماجم بضع أفراد سرقوا رقعا فكرية قديمة وحديثة من الاديان ومن النظريات العصرية وخاطوا منها ثوبا غير متناسق كريه المنظر وأخذوا يطبلون له ويزمرون (وأرجو صاحب المصور أن لا يمسخ هذا المقال متعمداً كما مسخ سابقه لان الواجب علينا هو تجريد هذه النغمة الممقوتة من طلائها لاظهار ما تخفيه)

أراد حضرة القاضي أن يثبت بان بهاء الله ليس بريئاً عن النظريات المنسوبة اليه والتي فكر الناس فيها قبله وبعده فلم يجد الى الدخول في الموضوع الا الاختفاء خلف آيات القرآن — ولو كان يتكلم مع يهودي أو نصراني لحل حمله على القرآن وتدرع بالتوراة وبالانجيل . فالبهائية الحقيرة تعيش دائما خلف مذهب الجماعة التي تنفث سمومها في أوساطها (مالك ومال الاسلام يا حضرة القاضي (وأنت أعلم الناس بان الاسلام بريء من البهائية ولا يمت لها بصلة بل هي تحتك فيه في الاقطار الاسلامية كما تحتك بغيره من الاديان في أمكنة أخرى . فهل قولك إن فلانا قال إن الاسلام سارق تعاليمه من الاديان السابقة دليل كاف على أن البهائية كالاسلام تكون سارقة إن سرق وتكون مهاجمة ان هوجم ؟ أو هل تعني بذلك أن البهائية ذيل يتبع الاسلام أنى ذهب ؟ لنفترض الآن انك تكلم شخصاً غير مسلم ، فهل تسلم بان البهائية سارقة اذا قال لك أن الاسلام سارق ؟ من أين أتيت بهذا المنطق يا حضرة القاضي الذي يبني أحكامه على مقدمات ؟

ابليس اللعين (أنا) يترفع عن أن يجعل الخرافات الممزوجة بسخافات موضع جدل حتى يصح أن ترميه بالايمان أو بالكفر !! أين هي عقولنا التي تسلم بان بهاء الله قد فكر في حل المعضلات الاقتصادية بين العمال وأصحاب الاعمال في حين اننا نعرف أنه لم يعش في وسط التكافح والتصادم الاقتصادي ؟ ليس عندك مخرج من هذا الا بادعائك أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل عليه الفكرة . فما قولك دام فضلك اذا كان

مناظرك غير مسلم مقيد بالتسليم بان هناك وحى وكان هذا المناظر لادينياً أومجوسياً فاستلقي على ظهره ضاحكا من الوحى الالهى الذى نزل على بهائك . أهل تختفى عندئذ خلف تعاليم الملحدين ولسان حالك يقول (على وعلى أعدائى يارب) ؟

سيدى أرجوك رجاء خصوصياً أن لاتختفى وراء الاسلام وحتى ولا وراء المسيحية واليهودية بل تدرع بتعاليم مذهبك وناضل عنه وافترض انك تكلم شخصا غير مسلم فانك أنت أيضا غير مسلم

أما ادعاء القاضى الفاضل بان ماركس اورليوس انطونيوس كان سفاكا للدماء لانه حاول اخماد النزعة المسيحية فعلى فرض صحة ما ادعاه حضرة القاضى لايدل على انه لم يكن محباً للسلام لان ظهور المسيحية فى وقته ــ على فرض حدوث ذلك ـ كان بدعة تنتج تفرقة لقوى الامبراطورية فهل فى امكان القاضى الفاضل تفهم هذا ؟ واما اشتباكه فى الحرب مع غيره من الامم كما تفعل الامم كافة الى الوقت الحاضر وما ستفعل الى أن يشاء الله فلا ينفى أيضا انه محب للسلام وانه كان يدعو له . تصور أن بطانة الدكتور ولسون قد وضعت امريكا فى حالة حرب وبالفعل دخلت غمارها حين كان ولسون على رأس الدول أو افترض أن دولة أخرى قد هاجمت الولايات المتحدة فهل يرى ولسون ـ الذى أخذ نسخة من منشور بهاء الله ـ بكره السلام ؟ وامتطاه !!

نرجع الآن إلى تحريف البهاء فقد كتب إلى نابليون الثالث يقول (بما فعلت تختلف الامور فى مملكتك ــ صحيح ان أى فعل ينتج عنه (تخلف) الامور فى أى مملكة وحتى عدم فعل أى شيء يوصل إلى هذه النتيجة أيضاً ـ ويخرج الملك من كفك ـ صحيح ربما بالموت او بالانكسار بعد الوقوع من الجواد ـ جزاء عملك أن تجد نفسك فى خسران مبين ـ كلام لا معنى له ـ وتأخذ الزلازل كل (القبائل) لم يكن البهاء اضاء الله بنوره يعرف حتى ذلك الوقت ان أوروبا لم تكن مجموعة من القبائل ـ الا بأن تقوم على نصرة هذا الامر وتتبع (الروح) فى هذا السبيل المستقيم ـ يا أهل البلد هل فهمتم من هذا التحريف شيئا ؟ ـ أغرك عزك ، لعمرى لا يدوم وسوف يزول الا بأن تتمسك بهذا الحبل ـ القشب ـ المتين قد نرى الذلة

الايطالية الحسناء

للشاعر العاطفي الفونس دى لامرتين

(جرازييلا فتاة من سكان نابولى ، كان أهلها صيادى سمك فقطن فى منزلهم الفونس دى لامرتين أثناء سياحته فى البلاد الايطالية ، وكان وقتئذ فى الثامنة عشرة من عمره ، فأحبته الفتاة حباً تملك كل مشاعرها . لكنه سلاها حالما غادر ايطاليا تلبية لنداء والدته . فماتت حزناً وكمدا بعد شهور من فراقه ، حتى إذا كانت سنة ١٨٣٠ ، أى بعد الحادثة باثنتين وعشرين سنة تذكرها وهو فى إحدى كنائس باريس يحضر جنازة فتاة تماثلها سناً ، فبكى بكاء مراً ، وتمثل له غدره وخيانته لتلك التى قتلها صده و بعاده ، فنظم هذه المرثية التى هى بلسم للجرح ، و ندى للقلب ، وعطر الزهور التى تنبت على أرماس المحبين)

على شاطىء البحر الخضم ، الذى ترتسم فيه مبانى سورانت ، حيث الأمواج الزرقاء تنبسط تحت أقدام شجر البرتقال ، قبالة سياج الأجمة المعطر ، أقيم نصب صغير ، لا رواء له ولا بهاء ، قد غطته الأعشاب ، ووارته الزهور ، فاختفى تحتها اسم الراقدة الذى لم يفكر فيه أحد ، ولم يردده صدى . فاذا ما مر بالجدث عابر سبيل ، واسترققته عاطفة رأفة وحنان ، فأزاح بيده النباتات ، مستطلعاً طلع ساكنة الرمس ، استعبرت عيناه ، فكفكف دموعه ، وعاود سيره آسفاً حزيناً وهو يتمتم : ستة عشر ربيعاً لم تستتمها ، لقد ماتت قبل أوانها !

أجل ، ستة عشر ربيعاً غير كاملة ، عمر قصير الأمد ، لكنه لم يسطع ألبتة على جبهة أجمل من هذه وأبدع ، ولم ينعكس بهاء هذا الشاطىء المحرق ، فى عين أشد صبابة ولا أكثر هياماً ، إنى أراها وحدى ، كما تركتها الذكرى ، حية فى النفس ، حيث يبقى الشيء دون أن تنال منه يد الموت ، أراها حية كما كانت فى تلك الساعة ، و الفلك يسرى بنا على متن الامواج ، وقد علق نظرها بنظري ، فتكلمت عيناها ، وصمتت شفتاها ، مخافة أن يقطع الكلام لذيذ هنائنا ، وشعرها الاسود الفاحم مسترسل إلى الهواء ، يحله ويداعبه ، وظل الشراع يلقيه على خدها

الوردى ، وهى تستنشق عبير النسيم العليل ، فأشارت بنانها الوردى إلى القمر المتلألىء ، ثم إلى زبد الماء الفضى ، وصاحت بدلاله : لماذا كل شىء يسطع فى الفضاء وفى نفسى ؟ فهذا الحقل السماوى ، ذو اللون الأزرق السمنجونى ، المزروع شهباً منيرة ، وهذا الرمل الذهبى حيث تتكسر الامواج ، وهذه الجبال التى ترتعد قنتها فى أقصى الفضاء ، وهذه الخلجان المتوجة بالغابات الهادئة الساكنة ، وهذه الاضواء على الساحل ، والاغانى على الامواج ، لم تهيج قط حواسى ، وتملأها لذة مبهمة ، وحبوراً خفيا ، مثلما فعلته الآن .

لماذا لم يذهب بى التأمل فيما مضى مذهبه الآن ، فهل اعترى حياتى حدث رقق من شعورى ولطف من احساسى ؟ وهل بزغ فى فؤادى كوكب ، كذلك البازغ فى السماء ؟

وكانت عينها صافية نقية ، وشفتها طاهرة عفة ، وجفناها لم يكونا ليحولا دون نظرها المملوء طهراً ، والسماء تغمر نفسها بالضياء ، وروحها أشبه بتلك البحيرة التى لا تجعد سطحها نسمة ، غير نسمة الشفافة والنقاء ، وجبينها البديع لم يصل اليه الهم ليسمه بميسمه ، فكل شىء فيها نظر مرح ، وهذا الابتسام اليافع ، الذى مات بعدئذ بحزن على فمها ، كان دائماً طافيا على شفتيها المتفرجتين ، كأنه قوس قزح نقى ، فى يوم بهى ذى شذا ، وذلك الوجه الفتان لم يسترة ظل ، ولم يحجبه حزن ، لان هذا الشعاع لم ينفذ بعد خلال الغمام ، وصوتها الذى يحاكى رنين الفضة ، صدى نقى صاف لنفسها الطفلة ، وموسيقى لتلك الروح ، تنشد على قيثارتها أغانى العواطف ، فتسبى وتأسر وتبهج حتى الهواء الذى تصعد على جناحيه .

لقد كانت صورتى هى الاولى التى حفرت فى قلبها ، فقبلتها كما تتقبل المينا ول شعاع من ضوء النهار ، فتغدو ولا ترى غير ذلك النور الذى فاض عليها ، فملأها من سنائه وضيائه ، فعندما أحبت أصبح العالم كله حبا وهياما ، فامتزجت بى وامتزجت بها ، واصبحت جزءاً منها لحياتها ، فكنت لها الهناء على الارض ، والامل فى السماء والمحور الذى تدور عليه آمالها وامانيها ، فنبذت الماضى ، وأشاحت بوجهها عن المستقبل ولم تعد تهتم الا بالساعة التى هو فيها ، فلاقى من تلاقينا الليلى هو كل ما نفسها ، هو حياتها ، هو روحها وريحانها ، فكانت تستسلم الى الطبيعة الهادئة ، فتبتسم لهاهذه عندما تقوم لصلاتها الحارة النقية ، فتيمم صوب الهيكل المقدس ، حاملة بيد زهوراً للتقدمة وقابضة بالأخرى على يدى ، فاسير معها طائعا كطفل ، حتى أقف فى أسفل الدرج ،

فسر الى بصوتها الملائكى : صل معى لترتفع نفسانا الى السماء ، لانى لا أصبو الى جنان الخلد ، ولا اتمناها اذا كانت خلوا منك .

غاب شخصك فارتعد كل شيء في أعماق تلك النفس ، واطفأت تلك الشعلة مصعدة لهيبها المائت الى السماء ، وتغلغل فيها دون ان يرجى له عود ، ذهبت تلك الحبيبة ولم تضن فؤادها بالتعلة والامل ، ذهبت ولم تنازع الآلام حياتها ، بل شربت كأس المرارة والاحزان نهلة واحدة ، فاغرقت قلبها فى أول دمعة ذرفتها عيناها ، فحاكت ذلك الطائر الذى اذا جن ليله ، لوى عنقه تحت جناحه ونام ، فالتحفت باليأس الصامت ونامت هي ايضا ، ولكن قبل أن يبدوا غسق حياتها وتنتشر طلائع ليلها .

نامت خمس عشرة سنة فى مرقدها الصلصالى ، ولا أحد يذرف دموعه ترى ملجأها الأخير ، فالنسيان المريع الذى هو كفن الميت الثانى ، قد خطى الممر المؤدي الى تلك الحفرة . فلا أحد يزور ذلك الحجر ، الذى محت نقوشه يد الزمن ، لا أحد يفكر و يصلى ، غير ذهنى الذى علقت فيه كل ذكريات الماضى . فاذا ما صعدت على أمواج ايامى السالفة ، وسائلت نفسى عن الانين وطرابس هذه الغابة ، وطفت بعينى على آثارهم العزيزة ، وبكيت فى سجل حياتى على نجوم عديدة غارت وخبا ضياؤها كانت تلك الحبيبة أول الكواكب التى اندب خسوفها ، مع أن ضوءها الهادىء اللطيف لم يزل ينير قلبى بنور التقوى والخشوع .

نسيها الناس طرا . لكن الطبيعة لم تنسها . فقد حلت قبرها بشجيرة شائكة صفراء الورق ، يابسة العروق ، امتصت عصارتها رياح البحار ، وأوقفت نموها حرارة الشمس . فدبت على الصخر دبيبا . دون أن ترفع رأسها . فاشبهت تلك الحسرة المميتة ، التى تتسلل الى القلب وتتأصل فيه . ولا تزال تتغلغل فى سويدائه حتى تأتى عليه .

فاذا أقبل الربيع . وبسمت الطبيعة . نبتت على ذلك القبر زهرة بيضاء . كأنها الثلج بنقائها وتصرعها . فتحاصرها الريح . ولا يدور الفلك دورة أو دورتين . حتى تنتثر أوراقها . قبل أن يعطر أريجها الفضاء .

فما أشبهها بساكنة الرمس الى مصر غصنها الغض قبل أن تبهج الحياة فؤادها .

الا بالله خبرينى ايتها الزهرة الذابلة . الا يوجد مكان غير هذا . تزدهر فيه الاشياء ، ازدهاراً لايعتريه افول . ولا يصيبه ذبول ؟؟

حزب العمال البريطاني

نشوؤه وتكوينه

لئن كان الوفد المصرى ، باعتباره حزبا سياسيا ، لم يمض على تأليفه عشر سنوات وقد أصبح مؤيداً من الاغلبية الساحقة للشعب المصرى ، فانه لايصح اعتباره بأى حال مقياسا لنشوء الاحزاب السياسية وارتقائها اذ هو قد تألف فى ظروف خاصة وبعد جهاد للاستقلال يرجع تاريخه الى ماقبل دخول الانجليز مصر عام ١٨٨٢

وانما هناك حزب العمال البريطاني وقد نشأ فى ظروف عادية ومع انه لم يمض على تأليفه بصفة رسمية اربع وعشرون سنة فها هو يتولى زمام الامر فى بلاده لثانى مرة حيث سبق له ان ولى الحكم فى سنة ١٩٢٤ وكانت تلك أول مرة وكان لم ينقض على تأليفه ثمانية عشر عاماً ، فهو من هذه الوجهة زعيم أحزاب العالم اجمع فى التقدم والارتقاء من حيث هو حزب سياسى منظم

ويرجع تاريخ أول محاولة لدخول العمال البرلمان البريطاني الى سنة ١٨٧٠ اذ رشح أحدهم - جورج أدجر - نفسه عن دائرة سوثوورك فتغلب عليه خصمه من الوزاريين (وهو الاسم القديم الذى كان يطلق على المحافظين) بثلاثمائة صوت . وعاد جورج أدجر فرشح نفسه فى الانتخابات التى تلت تلك بعدها باربع سنوات ففشل ولكنه قد نجح فى تلك السنة اثنان من زعماء المعدنين هما الكسندر مكدونالد وتوماس برت فلم يلبثا ان اكتسبا احترام زملائهما من أعضاء المجلس واحتفظ ثانيهما بكرسيه عدة سنوات وبلغ من تقدير مجلس العموم له أن أنابه عنه فى تقديم العزاء شخصيا الى الملكة الكسندرا لدى وفاة الملك ادوارد . وقد اختير عضواً للمجلس الخاص Privy Council فى سنة ١٩٠٦ وكان يطلق عليه لقب « أبو مجلس العموم » ولكنه لم يكن يدعو نفسه عضو عمال بالرغم من أنه كان عضوا فى مجلس نقابة المعدنين وكانت الحكومة والمجلس لاينيان يستشيرانه فى المسائل الخاصة بالعمال والعمل . ومما هو جدير بالذكر أن توماس برت كان على خلق عظيم وقد أثنى عليه الفيكونت غراى ثناء جما قال عنه فى ختامه انه قد « شرف الطبقة التى نشأ منها »

وفى سنة ١٨٨٠ بلغ عدد النواب العمال فى المجلس ثلاثة ، وفى سنة ١٨٨٥ زادوا الى أحد عشر نائبا منهم ستة من المعدنين ، ومن هؤلاء هنرى برودهيرست وهو أول عامل وصل الى المناصب الوزارية اذ اختاره المستر غلادستون لوزارة الداخلية فى وزارته (١٨٩٢ - ١٨٩٥)

غير انه يجب أن لايعزب عن البال أن فريقا من النواب - من طبقة العمال - الذين دخلوا المجلس فى عام ١٨٨٥ كانوا يطلقون على أنفسهم نوابا عماليين بينما كان الباقون - ومنهم المستر برودهيرست - ينتسبون الى حزب الاحرار

الانفصال من الاحرار

وقد وقعت فى سنة ١٨٨٧ حادثة تاريخية إذ طالب جيمس كير هاردى ، ممثل معدنى « ايرشير » فى مؤتمر نقابات العمال ، انفصالا صريحا للعمال من الاحرار ، وبالرغم مما منى به من الفشل فى ترشيح نفسه فى السنة التالية باعتباره مرشحا عماليا مستقلا فقد كان ترشيحه نفسه على هذا الاساس بمثابة تدبير لفت اليه أنظار بعيدى النظر فى المسائل السياسية

ولم تلبث حركة المطالبة بالانفصال من الاحرار ان احتدت بين العمال فانشىء على أثرها حزب العمال الاسكتلندى ونجح كير هاردى فى انتخاب عام ١٨٩٢ ودخل المجلس نائبا عن دائرة « وست هام » كما نجح غيره اربعة عشر من العمال من بينهم جون برنز وجوزيف آرك وهافلوك ويلسن الذين قدر لهم فيما بعد ان يكونوا من أبطال التاريخ

وما أن شوهد هذا النجاح فى الانتخابات حتى ألف حزب العمال المستقل فى رادفورد فى عام ١٨٩٣ وانتخب كير هاردى رئيساً له ، والحق أن الحركة العمالية فى بريطانيا بل فى العالم كله مدينة لهذا الزعيم بما ناله من نجاح ، فلا عجب اذن اذا كان العمال من جميع انحاء الدنيا قد اشتركوا فى تأبينه لدى وفاته فى عام ١٩١٥

وعقب تأليف حزب العمال المستقل فى برادفورد أصبح مؤتمر نقابات العمال موطناً للمعارك السياسية بين طائفتى المتطرفين والمعتدلين من رجاله ولم ينقض

وقت طويل على تأليف ذلك الحزب حتى أخذت آراء كير هاردى وزملائه المتطرفة تتقهقر إلى أن كانت سنة ١٨٩٥ فهزم فيها الثمانية والعشرون مرشحاً الذين قدمهم ذلك الحزب للانتخاب . ومن بين هؤلاء الفاشلين كير هاردى نفسه ، بينما نجح بعض العمال المعتدلين الأقرب إلى الأحرار منهم إلى العمال حتى خيل حينئذ أن تلك كانت آخرة المتطرفين

اطراد التقدم

بيد أنه قد ظهر فى ذلك الوقت بعض أصحاب العقول الراجحة من أمثال رامزى مكدونالد وبرنارد شو وسيدنى وب وغيرهم ممن تقدموا لانقاذ الموقف فألفوا ما أطلقوا عليه يومئذ « لجنة تمثيل العمال » وكان من جراء ذلك أن نجح اثنان من العمال فى الانتخابات العامة فى سنة ١٩٠٠ هما كير هاردى وريتشارد بل ، ثم لحق بهما فى الانتخابات الفرعية بعد سنتين ثالث هو دافيد شاكلتون وفى سنة ١٩٠٣ انتخب اثنان آخران هما آرثر هندرسون وويل كروكس . وبالرغم من أنه لم يكن فى مستطاع هذا الخمس أن يفعل شيئاً ذا بال فى مجلس غالبيته من المحافظين فإن كلا منهم قد استطاع أن يخلق لنفسه شخصية بارزة فى مناقشات المجلس وحواره

وحدث قبل عام ١٩٠٦ أن صدر الحكم المشهور فى القضية المعروفة باسم « تاف فيل » مقرراً لمبدأ الرجوع على اموال نقابات العمال فى أحوال ارتكاب أحد من أعضائها مخالفة يحكم عليه من أجلها بتعويض مدنى . فما أن صدر هذا الحكم حتى أراد « اتحاد نقابات العمال » اتخاذه أساساً للانتخابات العامة فى تلك السنة فما لبث أن صدر قانون الخلافات العمالية Trade Disputes Act ناقضاً للمبدأ الذى قرره ذلك الحكم ومقرراً مبدأ تأمين النقابات وجاعلا الحث على استمرار الاضراب (Picketing) مشروعاً . وفى هذا الوقت أقبل العمال على الانضمام إلى « لجنة تمثيل العمال » اقبالا عظيما حتى إذا بلغ عدد أعضائها المليون غيرت اسمها إلى « حزب العمال » ورشح الحزب فى الانتخابات خمسين من أعضائه فى شهر يناير سنة ١٩٠٦ ففاز منهم بالنيابة ٢٩ مرشحاً غير من نالوا تأييد حزب الاحرار « وجلهم من زعماء المعدنين » فما لبثوا ان انضموا إلى حزب العمال أثناء انعقاد

المجلس . وقامت حكومة الأحرار وعلى رأسها السير هنرى كامبل بانرمان وأعقبتها وزارتا المستر اسكويث وكانت كل من تلك الوزارات الثلاث تستند الى أغلبية ساحقة من الاحرار فى مجلس العموم فانتهز العمال تلك الفرصة وجعلوا يقومون بحملات عنيفة مطالبين باصلاحات اجتماعية شتى حتى أصبحوا شوكة فى جانب تلك الحكومات

قضية « أوزبورن »

ووقعت حادثة اخرى فى سنة ١٩٠٩ اطلق عليها فى التاريخ قضية اوزبورن كان لها شأن كبير فى تاريخ حزب العمال اذا صدر الحكم فى هذه القضية مقررا مبدأ عدم مشروعية جمع النقابات للاموال اجباريا من أعضائها للاغراض السياسية فأثار هذا الحكم ثائرة الآلاف المؤلفة من أعضاء النقابات الذين لم يسبق لهم الاشتغال أى الاهتمام بالمسائل السياسية واقبل المعدنون على الخصوص ينضمون زرافات الى الحزب حتى بلغ اعضاؤه المليونين فى سنة ١٩١٣ وفيها نقض حكم قضية اوزبورن

وقد نجح فى الانتخابات العامة فى شهر يناير سنة ١٩١٠ أربعون مرشحا من ثمانية وسبعين قدمهم حزب العمال ثم نجح فى شهر ديسمبر التالى اثنان وأربعون من مرشحى الحزب،وذهب العمال يناهضون منافسيهم فى المسائل السياسية كما حاربوهم فى المسائل الاجتماعية من قبل،واصبحت لفظة الاشتراكية تسترعى الانظار وجعل العمال يبدون اهتماما ونشاطا عظيمين فى جميع المرافق لاسيما فى مدة الحرب العالمية فضلا عن أن كثيرين من زعمائهم ــ وعلى رأسهم المستر مكدونالد ــ كانوا معارضين لدخول بلادهم فى الحرب ، وقد ظهر تقدم هذا الحزب بأجلى بيان فى الانتخابات التى جرت عقب الهدنة فى سنة ١٩١٨ إذ قدم الحزب ١٦٣ مرشحا أحرزوا مايقرب من المليونين وربع المليون من الاصوات وانما جاء عدد الناجحين منهم (٥٧) غير مناسب لعدد الاصوات وذلك بسبب توزيعها

على أن ما هو جدير بالذكر هو انه بالرغم من أن معظم زعماء حزب العمال والبارزين من أعضائه قد نشأوا متأثرين بالاشتراكية الماركسية وفى احضانها فانهم أصبحوا ينبذون مبادئها ويرفضون التشيع لها وليس ادل على ذلك من انه قد تبين

من احصاء عمل فى ١٩٢٢ انه بين الـ ٣٦٠ر ٣١١ ر ٣ عضوا المنتمين الى حزب العماليس إلا ٧٦٠ر ٣١ عضوا منتمين الى شعب واقعة تحت نفوذ الجمعيات الاشتراكية

وفى الانتخابات العامة التى جرت فى سنة ١٩٢٢ قدم حزب العمال ٤١٤ مرشحا فاز بالنيابة منهم ١٤٢ عضوا وبلغ عدد الاصوات التى أحرزها جملة المرشحين اربعة ملايين وربع مليون تقريبا وعادوا فى شهر ديسمبر سنة ١٩٢٣ فنجح منهم ١٩١ عضوا وتولوا الحكم فى بريطانيا لاول مرة فى التاريخ فى شهر يناير سنة ١٩٢٤ ولكن وزارتهم لم تعمر طويلا اذ سقطت على أثر نشر خطاب زينوفيف المشهور فتولت الحكم من بعدهم وزارة المحافظين حتى اذا كانت انتخابات شهر مايو من العام الماضى (١٩٢٩) نجح منهم ٢٨٨ عضـ عادوا الى تأليف الوزارة المتربعة فى دست الاحكام حتى الآن



ستصدر شهريا عن « دار العصور » ابتداء من يناير سنة ١٩٣٠

بدل الاشتراك السنوى ثلاثون قرشاً يدفع مقدماً ، والمخابرة مع صاحبها ورئيس تحريرها الدكتور أحمد زكى أبو شادى بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بالقاهرة .

بين الصحف والمجلات

المقتطف ـ يناير سنة ١٩٣٠ ، مقال بعنوان

«صور أو رؤية سريعة» للاستاذ خليل بك ثابت

بدأ الاستاذ خليل بك مقاله فى صراحة قائلا انه مفطور على «كره السفر ومقت الانتقال» فلا يسافر، الا مضطرا ، حتى لقد أقام فى مصر ثمانيا وعشرين سنة قبل أن زار الاسكندرية !! ثم شرع يرسم أعظم ما وقع فى نفسه من مظاهر الحياة الاوروبية وعرض فى هذا المقال لاربعة أمور:

تكلم فى أولها عن النظافة فاجاد فى بيان ما لها من أثر حسن فى رفع مستوى الامم والشعوب التى تحافظ على نظافتها حتى لقد قارن بين «الازقة الضيقة القديمة جداً فى جنوى ، وبين آخر شوارعنا كشارع عماد الدين وشارع فؤاد وشارع المناخ وغيرها» فاذا بالاولى خالية من الفضلات والاوراق والاقذار التى تغمر الثانية . .

وهذه لعمرى حال يؤسف لها وجديرة بأن يأبه لها المصريون بعد اذ أصبحوا أمة تسير على غرار المدنية الحديثة ، ولسنا نفعل كما يفعل غيرنا فنطالب الحكومة بالعناية بهذه المسألة ولكنا نوجه نداءنا إلى الشعب المصرى لنطالبه بأن يقوم باصلاح نفسه بنفسه حتى يكون أساس الاصلاح قويا متينا بعكس الاصلاح الذى تقوم به الحكومات والمشهور عنها ان «حبالها طويلة» وقد دلت التجارب دائما على ان اصلاح الحكومة لا يكون الا وقتياً لا دوام له ولا استقرار مادامت الوظائف تقليدا لا تخليداً فعسى أن نرى من الشعب المصرى عناية بالنظافة العامة تمحو الفارق الذى بينه وبين الشعوب الاوروبية من هذه الوجهة

ثم تكلم الاستاذ عن «المرأة فى ميدان العمل» . وقد لاحظنا فى هذه الصورة التى عرضها علينا خليل بك لهذا الموضوع الخطير ـ لاحظنا عليها اضطرابا لعله ناشىء من وفرة ما يكتب عن «مشكلة المرأة» فى هذا العصر حتى أن كثيراً من

الكتاب قد يناقضون آراءهم بأنفسهم وهم لا يدرون أنهم متناقضون . وأحيانا فى مقال واحد !!

قال خليل بك : « أما نصيب المرأة الاوروبية من العمل التجارى والصناعى فكبير لم نألفه فى الشرق . نعم إن المرأة عندنا تشاطر الرجل العمل الزراعى فى القرى والحقول ولكن نصيبها من غير العمل البيتى فى المدن لا يزال قليلا لحسن حظها وحظ الرجل الشرقى ؟! » . ويعلل الكاتب ذلك بأن « مزاحمة أختها الاوروبية للرجل آلت إلى مشكلات دقيقة فى بلدان كبريطانيا حيث يكثر عدد العاطلين » . وخطأ هذا الرأى ظاهر لا يحتاج إلى شرح أو بيان ، فان مزاحمة المرأة للرجل : حتى بفرض انها تؤدى إلى كثرة عدد الرجال العاطلين ، لا يمكن بأى حال أن تصلح مطعنا ضد المرأة ومانعا لها من اقتحام أى ميدان للعمل تؤهلها له كفاءتها ومهارتها .

ثم لماذا نحن نقول لخليل بك ذلك وهو القائل عقب هذه العبارة مباشرة : « ولكنها (أى مزاحمة المرأة للرجل) لم تأت بهذه النتيجة عينها - أى زيادة عدد العاطلين من الرجال - فى بلدان أخرى كفرنسا ففيها نرى المرأة تشارك الرجل أو تحل محله فى ادارة الفنادق والمخازن والعمل فى مكاتب سكك الحديد والمصانع علاوة على العمل الزراعى وقد تبحث (أنا خليل ثابت ؟) بعض هذه الاعمال فألفيت المرأة تنهض بها بدقة ونشاط ومهارة تستوقف النظر وفى بعض الفنادق تتولى الزوجة استقبال الضيوف وتعيين الغرف والاشراف على أعمال الخدم وراحة المقيمين فى الفندق ونظافة الغرف وضبط الحسابات واخراج فواتير الضيوف بدقة مدهشة فى حين أن الزوج يقيم فى المطبخ لملاحظة طبخ الطعام واعداده وشراء مواده أو مراقبة هذا الشراء » .

اليس هنا تناقضا مع القول السابق بأنه من حسن حظ المرأة الشرقية وحظ الرجل الشرقى أن نصيب المرأة « من غير العمل البيتى فى المدن لا يزال قليلا » ؟

إن مسألة المرأة فى العالم اجمع ، وليس فى مصر وحدها ، أصبحت أدق وأعقد من أن يتناولها كاتب بالبحث دون أن يتحرز من الوقوع فى الاخطاء المقررة ومنها القول بمنعها من النزول الى ميدان العمل فى المدن اسوة بالرجال ، ولعل من الادلة القوية على أن مصر والمصريين سائرون فى طريق تحرير المرأة ان نتيجة المسابقة

التى أقامتها المجلة الجديدة لزميلنا سلامه موسى عن « الكتب العشرة المفيدة » أن كتابى قاسم امين « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » قد فازا بأغلبية ساحقة من أصوات القراء فبلغ ما احرزه أولهما وحده ٢٢٦ صوتاً من ٢٤٩ صوتاً فاذا هو ـ فى نظر الجمهور المصرى على اعتبار نسبى ـ أول الكتب المفيدة وهذا راجع بلا ريب إلى تقدير الجمهور لرقى المرأة وما سوف يكون له من أثر فى رقى المجتمع المصرى

ولا ندرى لماذا يريد خليل بك أن يحرم على المرأة أن يكون لها نصيب من العمل التجارى والصناعى وهو قد رأى « معظم مخازن فيشى وبعض منها فروع لمخازن باريس المشهورة بيد نساء يتولى بعض منهن الادارة والبعض الآخر البيع والبعض الحساب وقبض المال، والحاسبات منهن يعملن أعمالهن بسرعة ودقة غريبتين » ؟!

قال نيتشه : « فى هذا العصر حان وقت تصفية الأشياء النفيسة وتمييزها على بعضها ، ولم يقل لا هو ولا غيره بأنه يجب أن يقوم بهذا العمل زيد من الناس ولا يقوم به بكر » . فاذا كان العمل تقوم به امرأة يخرج أدق وأضبط وأتقن مما يقوم به الرجل فلست أدرى بأى حق نحرم أنفسنا مزية العمل الدقيق المتقن حباً فى سواد عيون الرجال ؟!

وتكلم الاستاذ خليل بك بعد ذلك عما شاهده من أدب الجماهير الأوروبية فأبدى إعجابه بسلوكهم ، واتجاه كل منهم إلى قضاء مصلحته بدون أن يعترض لمصلحة غيره وبأقل ما يمكن من الجلبة والضوضاء ، وهذا لعمرى خلق حقيق بأن يتحلى به كل امرىء إذ هو عامل قوى فى سعادة الناس وراحتهم

« ومعرفة ما للمرء من الحقوق وما عليه من الواجبات أمر متأصل فى نفوس الأوروبيين ، وهو كذلك من النظام العام الذى يجب على كل فرد أن يسير عليه إذا مارام السعادة والراحة والرقى المتواصل والتقدم المطرد

أما شيوع قراءة الصحف وكثرة عدد الذين يطالعونها فى بلدان أوروبا فرجعه إندثار الأميين فيها » . وهذه الأمنية التى تجيش فى قلب كل مصرى ليحارب الأمية فى بلاده هى التى تحاربها الآنسة مى (الكاتبة النابغة !!) فى مقالات متتابعة تنشرها لها الاهرام ـ الجريدة المصرية للمصريين ـ فى صدرها !!

فهل ننتظر أن نسمع قريباً رأى الاستاذ خليل بك فيما تكتبه الآنسة النابغة ؟

المجلة الجديدة - يناير سنة ١٩٣٠ - مقال بعنوان «الانتخاب الاجتماعى» بقلم «حافظ محمود».

المقال خليط من العلم والفقه والأساطير. أساسه على وأدلته فقهية، أما الأساس الذى تقوم عليه الأدلة فأسطورة. وإليك تبدأ منه:

قال الأستاذ حافظ محمود:

«كما أن الطبيعة تتخير طبقات (كذا) الأنواع فتنتخب ما هو أصلح للبقاء، ويجهل العلماء فى هذه السنة الطبيعية نظرية يسمونها «الانتخاب الطبيعى» - كذلك أزعم أن لهذه السنة الطبيعية صلة اجتماعية تعمل فى المجتمعات على انتخاب أصلح النظم للبقاء. وأحب أن تجعل من هذه السنة نظرية أسميها «الانتخاب الاجتماعى» - الخ

وإن نظرة واحدة إلى هذه الكلمات لكافية لأن تثبت لأكبر المتشككين أننا بلغنا من الفوضى التعبيرية فى لغة العلم والأدب حداً لا يحسن السكوت عليه. فالأستاذ حافظ محمود يريد أولا أن يشعرنا أن نظرية الانتخاب الاجتماعى من «زعمه» وأنه مستكشف ناموسها بالقياس على الانتخاب الطبيعى. ولا جرم أنه كان يفوز بهذه البغية لولا أنه اصطدم مع ما يزعم بأن يجعلنا ننسى أبحاث سبنسر وكيد وهيل وغالتون وبيرسون وغيرهم من الكتاب مثل ليز وباسون وتومسون، أولئك الذين لم يكتبوا فى شيء بقدر ما كتبوا فى الانتخاب الاجتماعى.

الأستاذ حافظ محمود يزعم أن هناك سنة طبيعية يريد أن يطلق عليها اسم نظرية الانتخاب الاجتماعى، ثم «يحب» أن يسميها بهذا الاسم. فهو إذن مبتكر هذا الاستكشاف العلمى العظيم ومخترع اسم النظرية. ولست أدرى لماذا لا يطالب بجائزة نوبل للآداب بعد ذلك؟

على أنك ياسيدى الأستاذ قد نسيت أن السنة الطبيعة لا تستكشف أولا ثم يطلق عليها اسم نظرى، بل ان النظرية توضع أولا فإذا حققتها التجاريب العلمية اعترف بها وإلا فإنها ترفض وتموت. استمسك يا أستاذ بهذا الرأى فإنك إذا استمسكت به استطعت أن تفوز بجائزة نوبل

سيدى الأستاذ — هل قرأت ما كتبت؟ هل قرأت هذه الكلمات فى مقالك؟.

«عد إلى الماضى، الماضى البعيد إن شئت، إلى ذلك التاريخ الذى أهلك فيه ن نوح جانباً من أهل الأرض وأبقى جانباً كان هو الأصلح للبقاء» (كذا)

فإنك واجد هذه السنة الجديدة ، سنة الانتخاب الاجتماعى ، تعمل عملها فى المجتمعات التى تكونت وكانت منها عشائر فقبائل فشعوب فأمم فهالك فدول . . . . . .

سيدى الأستاذ كان الواجب عليك أن تقرأ مقالة صغيرة من كتب المطالعة الابتدائية قبل أن تكتب هذا الكلام . كان الواجب عليك أن تعرف أن الطوفان على فرض أنه وقع فإنه معجزة تخرق قانون الطبيعة ، و « زعمك » بالانتخاب الاجتماعى كما تقول سنة ، فكيف يمكن أن تكون المعجزة التى هى خرق لنظام الطبيعة مؤيدة لسنة نظامية من سنن الطبيعة ؟ أرجو أن تعقل يا أستاذ قبل أن تتكلم.

على أنا إذا أردنا أن ننشر بقية هذا المقال لكان الدافع بنا إلى ذلك أن ننشره تفكهة للقراء ، لا على أنه كلام علمى أو اجتماعى .

ولا شك فى أن هذا المقال قد انسل خفية إلى المجلة الجديدة وعلى غرة من الأستاذ سلامه موسى ، كما انسل « أهرمان » إلى هذا العالم فبذر الشر وعلى غرة من؟ الجواب متروك للأستاذ سلامه موسى فإنه أدرى به بعد تجربته فى هذا المقال

ـــــ

(الهلال ــ يناير سنة ١٩٣٠ ــ « ساعة مع عبد البهاء » بتوقيع عباس محمود العقاد)

يقول المثل « الخطاب يعرف من عنوانه » ولكن العقاد الذى يريد أن يعرفه الناس من طريق مخالفته للمألوف سواء كان عقلا أو منطقاً أو حكمة ــ يريد هذا المغرور إلا أن يقلب جميع الحقائق على رأسها فيكتب مقالا بعنوان « ساعة مع عبد البهاء » ليتحدث فيه بما ألقاه هو من درس على عبد البهاء حتى لقد كان الأجدر أن يكتب ذلك المقال بعنوان « ساعة مع العقاد » ويذيل بتوقيع « عبد البهاء » !!.

بل لقد بلغ بذلك المدعى انه يحسب أن عباس افندى عبد البهاء فى حاجة إلى شهادته له حتى أنه يقول « ولا أدرى كيف تطرق بنا الحديث إلى قصة الزباء وما إليها من قصص العرب والفرس فإذا عباس افندى مطلع على هذه الناحية من التاريخ أحسن اطلاع » ما شاء الله ! العقاد امتحن عبد البهاء فى التاريخ القصصى العربى والفارسى فشهد له بالاطلاع . . وإذن فقد كان عبد البهاء هو الذى فى حاجة إلى قضاء « ساعة مع العقاد » وليس العقاد هو الذى سعى إلى مقابلته قبل بضع عشرة سنة وكان جبار الذهن فى بداية عهده بدراسة الأديان والبحث فى أمر العقائد !! ولكن العقاد الذى

يخالف العقل والمنطق والحكمة ايعرف ـ يسير على غرار نفسه فيخالف المثل القائل « الخطاب يعرف من عنوانه » ويكتب مقالا بعنوان ساعة مع عبد البهاء وهى قد كانت ساعة مع العقاد لا آجره الله !!

ثم نعود إلى مانقله العقاد عن عبد البهاء من قوله له إن « العالم الآن مستغرق فى المادة ، ولا سبيل إلى السلام إلا من جانب الروح . العالم لا يطير إلا بجناحين جناح من المادة وجناح من الروح ، وهو الآن يطير بجناح واحد ويعوزه الجناح الآخر ، فهو منقسم على نفسه لا يبلغ كماله حتى تتفق فيه المطالب المادية والمطالب الروحية : أما إذا سار حيث يسير الآن فستحل به ـــ وقانا الله وإياكم ـــ نكبة مرهوبة تزلزله حيناً وتفتح عينيه على الصراط المستقيم ولكن بعد أهوال لانطاق»

ودعك مما قاله العقاد على لسان نفسه من أن « عباس افندى كان ينذر سامعيه بالنكبة الكبرى » فلو أن هذه كانت نبوءة تحسب لعبد البهاء فترفعه إلى درجات الأنبياء والرسل لكان نصف العالم أنبياء بمجرد ما يتنبأ أحدهم بحادثة قبل وقوعها فتقع بحذافيرها !! على اننا لا نجد فرقاً بين كلام عبد البهاء ـــ أو المنسوب له على الأقل ـــ وبين النبوءات العامة المبهمة التى يلقيها المنجمون وضاربو الرمل والودع !!

ولكن الذى يهمنا من أمرها ليس ما فيها من تنبؤ أو شبه تنبؤ . وانما نحن لا نقر عباس افندى على قوله إن « العالم الآن مستغرق فى المادة » فهذا الرأى لا ينتج إلا من نظرة سطحية إلى المدنية التى تسود العالم الآن ، وإلا فان البحث العميق فيما ترمى اليه هذه المدنية لابد مؤد بنا إلى التسليم بأن غايتها إنما هى السعادة الحقيقية بزيادة نفاسة الحياة وقيمتها من طريق ارضاء حاجات النفس والعقل معاً واستخدام المادة لبلوغ الغاية

ولسنا نفهم معنى ان « العالم لا يطير إلا بجناحين جناح من المادة وجناح من الروح » ! فما هى الروح ؟ انه إذا كان مقصوداً بها الروح الدينية الحقيقية الحاثة على فعل الخير واجتناب الشر فان الروح العلمية ـــ وهى والمادية اسمان لمسمى واحد ـــ لا تناقض الحث على فعل الخير واجتناب الأذى وإنما هى تفوق الروح الدينية لأنها تحدد الخير وتعرفه تحديداً دقيقاً وتعريفاً واضحاً أكثر مما تحدده وتعرفه تلك الروح الدينية التى يقول عبد البهاء ـــ أو يزعم عباس العقاد أنه قال ـــ انها أحد الجناحين اللذين لايطير العالم الا بهما

غرام ابن العمدة

تحت حماية السلطة العسكرية

آلام دفينة

في اليوم السادس من شهر اكتوبر عام ١٩١٧ تلقى أحمد افندى عثمان من ذوى الأملاك باحدى قرى مركز هيا شرقية إشارة تليفونية ، خصوصية ، من هيا إلى البندر لمقابلة صديقه ابراهيم أفندى رأفت لأمر خاص ، في غاية الاهمية .

كان الشاب أحمد عثمان من ، سواقط الكفاءة ، على جانب لا بأس به من الذكاء الفطرى ، وكان أبعد أترابه عن التشاؤم خصوصا وهو حينئذ على أعتاب الزواج من فتاة يحبها ويتعجل الظروف ليبنا بقربها ، فلما تلقى الاشارة التليفونية من صديقه الحميم ـ رأفت افندى ـ توقع من ورائها أنسا وابتهاجا ـ شأن كل اجتماع بأمه أمثاله في بنادر المراكز . .

لهذا بادر الى أسرع الدواب فامتطاها وسار في الاسطبلة حتى وصل الى البندر وهناك في أحد حوانيت « المانيفاتورة » حيث كان صديقه بانتظاره التقيا وتعانقا بشغف وانتحيا ناحية ثم بدأ أحمد أفندى صديقه بالسؤال عن تلك المسألة التي سماها في اشارته ـ أمر في غاية الاهمية ـ ؟!

فتبسم رأفت افندى ابتسامة خفيفة تلاشى أثرها سريعا عن وجهه ثم اعتدل في جلسته واخذ يداعب شاربيه في شيء من الاهتمام وفي شكل من يتحفز لهجوم خطير ثم قال . « يا أحمد افندى . . هل تشك في اخلاصي ؟ أولا تثق بصحة ما أقوله لك في كل موضوع تحدثنا بشأنه قبل الآن ؟ » . « اثق بك من غير شك فماذا تريد أن تقول اذن ؟ » . « أريد أن أقدم اليك نصيحة خالصة تتعلق بحياتك وبحبك الثمينة التي هي عندى أجل من كل شيء سواها وأني مع الالم الشديد أسوق اليك خبراً قد تتألم عند سماعه لاول مرة . بيدأنك اذا أمعنت النظر فيه بهدوء وبغير ان يملك الغضب نفسك قد تنجو من أحبولة نصبها لك أحد الافراد ممن لا تشك مطلقاً في نذالتهم وسقوط

اخلاقهم وسوء سمعتهم . فاذا قارنت بين أمرين ماعرضهما عليك . واذا قارنت بينهما تحت ضوء الحكمة أمكن أن تعرف قيمة كل منهما . وأمكنني بعد ذلك أن أخطو الخطوة الأولى فى طريق انقاذك من خطر محقق »

هنا ثارت الشكوك فى نفس الشاب فى كل ناحية من نواحى حياته واستعرض أمام مخيلته ماعساه أن يكون قد اقترفه من خطأ ضد ذلك (الفرد) النذل الساقط الاخلاق السيء السمعة فلم يذكر اساءة واحدة . فبادر صاحبه بالسؤال عن ذلك الذى يعنيه وتابع سؤاله قائلا :

ـ أراك قد فرضتنى ذبابة لا يأنف أحد من قتلها وصورت لى ذلك العدو السافل بصورة تجعلنى أسألك عن أمر هذه المؤامرة التى تحكم بنتيجتها الخطيرة حكم الواثق المطلع على بواطن الامور ، فهل لك فى زيادة الايضاح بصراحة وجلاء من غير ان تستعمل الكنايات والاحاجى ؟؟

فقال رأفت افندى ـ

تعلم ياصديقى أن لك أختا على جانب عظيم من الجمال الذى لا أفشى سرا اذاقلت لك أنه ربما كان السبب الوحيد فى كل هذه المؤامرات ـ ثم تعلم أن خليل سليمان وحيد عمدة بلدكم طالما فاتح والدك فى أمر زواجه من أختك فلم يجبه الى ماطلب ، وأنه وان كان سيء السمعة كما أشرت سابقا الا أنه يستطيع الآن بكلمة واحدة أن يرسلك إلى حيث لا أمل فى الرجعة . فأمامك أحد أمرين ـ اما زواجه من أختك ـ واما ... (فقاطعه أحمد قائلا ـ واما حياتى أليس كذلك ؟؟) فتابع صديقه ـ ليس مؤكدا أنك تموت هنا بيده وانما أريد أن أقول أنك ربما تموت متأثرا بآلام لم تعتد حملها أبدا » فاستشاط احمد غيظا وقال « كيف يتم ذلك ؟ وهل ارسالى إلى ذلك الجحيم ـ الذى تهددنى به اصبح الآن تحت اشارته وفى متناول يده ؟؟ »

فاجاب صديقه ـ نعم وأؤكدها لك . وأرى أن الحدة الآن لا تفيدك مطلقا بل الواجب أن تعلم أن ابن العمدة أتفهم ما أعنيه بقولى ـ ابن العمدة ـ ؟ أتفهم ذلك جيدا ؟؟ نعم يجب ان تعلم ان ابن العمدة يستطيع ان يخرجك من القطر المصرى باشارة بنان أو حركة لسان . افهمت الآن ؟؟

ـ آ . . . ه . . . . اخشى ان اكون قد فهمت . . وفهمت جيدا على ان الحق الذى

اريد ان اصارحك به هو انك ضالع فى هذه المسألة بقسط كبير فانى لا اجهل ان أخته ـ الوارثة مقدما ـ تملك عليك قلبك ، مع أنه قد سبق لى أن أخبرتك أنها خطيبتى ـ برغم أنف أخيها فقط ـ وعلى الرضى من ذويها . وما امتنعنا عن قبول زواج أختى من ذلك السافل الدنس الا بعد أن وافق أبوه ـ العمدة ـ على الرفض واستطيع أن أقول إنه هو الذى بدأ بعدم الموافقة لسوء سلوك ولده ، فاذا أردت مصلحتى حقيقة فاضرب صفحا عن الدسائس التى يراد بها عرقلة عقد زواجى من أخته ولك بعد هذا أن تختار زوجا أخرى تكون وإياها على وداد ووفاق . . والا فكفانى عذرا أن أصرح لك بهذه الحقيقة التى كانت كثيرا تثير الشك فى نفسى من جهة حسن نيتك فى أساس الصداقة بينى و بينك . . .

فأجابه فى حدة واستخفاف ـ كفاك ياهذا غرورا واتهاما لى فماذا تزعم أنى أستفيده من صداقتك التى تمن بها على مثلى ؟ . ماهى الفائدة التى تأتينى من صلتى بك ؟ وعلى كل حال فارجوك أن تنسى أن أخت خليل تهواك . فانها على العكس من ذلك تكره أن ترى وجهك برغم استعدادكم لحفلة العقد وماكنا نوافق أهلها اليكم الا بتوصية خليل نفسه الذى يريد بأية وسيلة أن يكون له حق دخول منزلكم عند أى مناسبة . . وفى أى وقت . ولسوف ترى حين لاينفع الندم وترى أى انسان ترميه بالدس والخيانة وتزعم أنه يؤاخيك لغاية فى نفسه .

وقف احمد فى أنفة وسخرية وهو يقول لصديقه الامين : الى الملتقى يا أخ ولكن مايمكن أن يكون

* * *

فى لجنة السلطة العسكرية بالمركز

« هذا الشخص لايكون فى البلد ويمكنا أن تظفر بنفر تقدمه للسلطة فانه يحرض الناس على الثورة ، وأبى رجل طيب لايعرف لؤم هذا الماكر الخبيث »

كان هذا آخر ماقاله خليل ـ ابن العمدة ـ للكابتن هيا فى مكتب السلطة ببندر المركز فى مساء ١٩ اكتوبر سنة ٩١٧ وعلى ذلك خلا الكابتن بأحد ضباط المركز ثم استقر رأيهما على أمر اتفقا على وجوب تنفيذه

فى البلده

عاد احمد الى القرية تتضارب فى رأسه الظنون ثم توجه توا الى منزل العمدة وهناك حدث زوجة العمدة بما دار بينه وبين صديقه رأفت افندى وهو الذى يزاحمه فى بنت العمدة فطمأنته وعرفته أن خليلا طائش لا يهم كلامه - أما خطيبته فهى لا ترغب فى سواه ، وليس لخليل رأى فى موضوعها . فانصرف مطمئنا وتوجه الى منزله حيث كشف الموقف أمام أسرته وأحاطها بما دار بينه وبين حماته زوجة العمدة

* * *

بعد تلك المحادثات بأيام وبعد أن قام والد احمد افندى ببعض اجراءات الزواج ثم عقد العقد ذهب احمد تمهيداً لذلك لتوزيع رقاع الدعوة على بعض أصدقاء عائلته فى بندر المركز، وقام فعلا بتوزيع أكثرها وبينما هو يجتاز أحد الشوارع اذا انقض عليه رجلان - خفير نظامى مصرى وعسكرى مصرى أيضا - وقاداه عنوة الى وكالة كانوا يحشدون فيها « أنفار السلطة » .

وفى لحظة تلاشى صياحه بين ضجيج الآخرين ، ووضع اسمه فى قائمة « المتطوعين » الذين كانوا يقادون مرغمين . وقليل منهم فى ذلك الوقت من كان يتطوع بارادته .

ولقد دخل العريس « بملاحقه » التى كانت تحمل بشرى الانس والسرور - دخل « وكالة » المسوقين الى الميدان الحربى فى فلسطين فكان الموقف عجيبا وأليما فى وقت واحد .

وطير الخبر الى القرية ولكن بعضا من الناس كانوا - ذرا للرماد فى أعين أهل الاسير - ينفون الخبر وهم يريدون بذلك تأخير النجدة عن العريس ولو بضع ساعات .

وقامت ضجة فى القرية خف على أثرها العمدة مع أبى « العريس » فتوجها إلى المركز وعبثا حاول ايصال حقيقة المسألة إلى ذهن الكابتن أو المأمور . وأخيرا استقر رأيهما على الحضور الى مصر لمخاطبة المسئولين ورجائهم فى اخلاء سبيل المتطوع ! ولو ببدل نقدى ، وقد كانت التعبئة للسلطة فى أشد نشاطها على أساس الضرورات الحربية وكان الطلب من دفاتر الميلاد ، وكانت الاحكام العرفية تحمى

أكثر من هذه الحادثة .. كل هذه الاعتبارات كانت سببا فى اخفاق الرجلين عندما حاولا استنقاذ العريس ، فتوجها توا إلى مصر .

* * *

وفى الساعة الخامسة والنصف من صباح اليوم الذى توجه فيه العمدة إلى مصر كان القطار ينهب الارض بأنفار السلطة إلى القنطرة وبين الانفار المنكودين العريس السيء الحظ ينظر فى دهشة وارتباك بين بكاء الباكين وعلى ضجة العجلات الى الشمس فى الشرق وقد أرسلت خيوطها الوهاجة على كثيب شاسع والقطار يأخذ فى سيره الحثيث جادا فى ابعاد الحبيب المحبوب عن ديار من يهوى ، وقد مرت أمام المسكين محطة التل الكبير بسرعة ثم توارت فى غلائل البعد . وتوارى مع هذه المحطة آخر أمل للعريس فى النجاة واستسلم المسكين لقضاء الله وترك الاقدار تفعل أفاعيلها . وكان يجنح إلى البكاء اذا جن الليل ويتصنع الثبات وهو واهى الجلد

* * *

« بين الاخوين الخائنين »

رأفت (بحدة) - كنت أظن انك أكثر غيرة على أسرتك من هذا ولولا ذلك لما ساعدتك على ابعاد احمد ليخلو لك الجو مع أخته مالكة لبك ولاجل أن تخلو باختك فتعمل جهد المستطاع لحملها على الطعن فى صحة وكالة والدها عنها فى العقد مع بلوغها سن الرشد . وتريد اليوم أن تقول لى انك لاقيمة لرأيك فى موضوع أختك ؟؟ هذا كلام لا يعقل !

خليل - وماذا عاد على من النفع بعد أن زاد نفور أهل التى تذكرها منى بسبب ابعاد ابنهم وقاطعونى مقاطعة تامة بعد ان كنت اجد فيهم شيئا من الرثاء ؟ دعنى اذن أناجى حظى العاثر ولا تكثر على سمعى هذه النغمة ، فلعنة الله على الحب اذا كان لا يتم إلا بالجريمة أما كفانى غضب والدى ووالدتى ، وأهل القرية ؟ قاتلك الله ! ان أختى تبكى ليلا ونهارا لشدة وقع الخبر عليها فهى لن تفكر فى غير من أحبته ولاتهمها ثروتك بجانب وداعة أخلاق عريسها فاذهب إلى أى مكان شئت ودعنى من هرائك الممل فانى نادم

شروع فى جناية

وصل إلى النيابة فى مساء ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٧ بلاغ جاء فيه «بينما كان عمدة . . عائداً من لجنة الشياخات إلى بلده اذ أطلق عليه مجهول عيارا ناريا كاد يقضى عليه لو لا أن أخطأته الرصاصة سنتيمترا واحدا فنجا بأعجوبة . وهو يتهم ابراهيم رأفت ويقرر أن بينهما عداوة بأسباب عائلية .

فى المستشفى الانجليزى

هذا مريض بائس تنهشه الحمى وقد بات قاب قوسين من الهلاك . وقد وقف عليه فى سريره لجنة من الاطباء قرروا اعطاءه الحقنة الاخيرة فأما . . وأما . .

ثم وقف المرض وبدأ المريض يفهم ما حوله ويذوق طعم الماء وينعشه الهواء الذى يهب على شاطىء القنال حيث تتهادى البوارج البريطانية الضخمة بأنوانها المختلفة

ثم تماثل المريض للشفاء وصدر الامر باعادته إلى بلده لعدم اللياقة طبياً للعمل

وفى صباح أحد أيام باكورة عام سنة ١٩١٨ كان القطار الابيض يعود فى هدوء وينساب كالافعى على شريطه قاصدا الزقازيق والعريس يطل من القطار على تلك السهول الصفراء ويكاد يطير إلى بلده لولا عدم الاجنحة

امام محكمة الجنايات

نظرت القضية وبعد المرافعات صدر الحكم على رأفت بالسجن سنتين ونصف مع الشغل وعاد أهله من الزقازيق فى صياح وعويل

فى محطة هيا

كان منظراً بديعاً ذلك الذى شهدته محطة هيا فقد نزل أهل رأفت من القطار بين ازدحام تطير فيه اصوات النساء . ونزل العريس من القطار نفسه يتهادى بين أبيه والعمدة والركائب الانيقة تنتظرهم والقرية تكاد تكون فى عرس عام

وبعد قليل قام مهرجان زواج العريس وتوافد عليه المدعوون من كل جانب . فكانت بهجة وكان لقاء بعد اليأس . وما أحسن اللقاء بعد اليأس

وفى هذه الساعة كان رأفت يرسف فى أغلاله رهن إشارة السجان...

محمد عبد الجواد السكرى

قصة وعبرة

الوفاء

كنا خمسة . باشكاتب الصحة ج . افندى واثنين جلست اليهما لاول مرة هما أوباشيان فى البوليس وصديقى ف . والعبدلله . وكنا نتحادث عن الوفاء وتوابعه فانطلق ج . افندى باشكاتب الصحة - أو الدكتور كما كانوا يدعونه فى ذلك المجلس - وقال لنا انه سيحكى لنا حكاية ويطلب منا إصدار حكم على صديق له بالوفاء او بالخيانة

قال ج . افندى :

خرجنا يوما للفسحة على موتوسيكل صديقنا محمود . وكان ثالثنا مهندس بوزارة ... يدعى ابراهيم افندى

واجتمعنا حول ترابيزة فى روض الفرج نشرب شيئاً من البيرة . فما مضى علينا زمن قصير - مسافة قزازتين لنا نحن الثلاثة - حتى أقبلت علينا سيدة وهى تنتفض من شدة النفس وقالت لنا « والنبى يا افندية تحموني ؟ » فلم يسعنا إلا ان نفسح لها مجالا بيننا

وجلسنا نرتقب أولئك الذى « أنقذنا السيدة » منهم فما وفد علينا أحد !

وكان أقربنا الى اللائذة بنا ابراهيم افندى المهندس ، فتركناه أنا وصديقى محمود ليواسيها ، ووضعنا بوزنا فى بوز بعض . أحدنا يقول « انها جميلة » فيرد عليه الآخر قائلا « لا ماهش حاجة برده » . ولكن مالنا ولهذا يا أخى فهى لائذة بنا ولا يليق بنا إلا أن نكون عند حسن ظنها ، وفى هذه اللحظة رأينا ثالثنا ابراهيم افندى المحترم - قد دخل فى الغميق واطمأنت اليه السيدة بعد ان زال رعبها ، ولكنها أدركت اننا قد أخذنا بالنا ، منهما فراح وجهها لونا وجاء لونا آخر

فلم أجد بدا من ان أقول لابراهيم افندى - ما يصحش يا ابراهيم افندى كده على قارعة الطريق . وكان أن لاحظ أن السيدة متضررة

- بس اسكت أنت يا ج . افندى . لاتتداخل بيننا

فادرت رأسى نحو صديقى محمود وعاد ابراهيم الى مغازلته فقلت لمحمود « امـ

(أظن انه لا يليق بنا السكوت على ذلك ، ولو انك عملت كما اقول لك تماما لعملنا ملعوبا ظريفاً على الباشمهندس) فلم يتردد محمود فى اظهار استعداده لعمل كل ما آمره به ، وحينئذ التفت الى ابراهيم قائلا

ـ ألا ترى ياسى ابراهيم أن الاوفق أن تتريض قليلا فى موتوسيكل صديقنا محمود ؟

فقال (لامانع) وقمنا فركبنا . السيدة فى (السبت) وابراهيم افندى خلفها موليا ظهره للعجلة التى يسوقها محمود ، وجلست أنا على مقعد العجلة الخلفية

وسرنا من روض الفرج الى الزمالك فعرجنا على الجزيرة . وفى شارع منقطع من المارة فيها ـ وكانت الساعة حوالى منتصف التاسعة مساء ـ أعطيت اشارة لمحمود ليطير بالموتوسيكل بأقصى سرعته دون أن يعير ما يجرى بينى وبين زميلى ابراهيم افندى أى التفات او اهتمام

وما كاد الموتوسيكل ينطلق بنا حتى وجد ابراهيم افندى انه لاغنى له عن أن يمسك بكلتا يديه ـ مستميتاً ـ فى اطراف (السبت) وهنا قلت له

ـ بقى ياسى ابراهيم يصح واحدة تلجأ اليك تقوم حضرتك تبا كسها و . . .

ـ اما شىء غريب ؟ ، هى اختك والا تقرب لك يا اخى !

فصحت فيه بكل ما فى من قوة

ـ هس اخرس ! قبيح ماتختشيش ! !

ـ بتشتمنى ياواد يا ابن ال . . .

قلت له (واد فى عينك ! اشتمك واضربك كمان) ونزلت على قفاه تصفيعاً وفى ظهره تلكيما وفى ياقة جاكتته الخلفية تخطيماً ، والسيارة منطلقة بنا لاتلوى على شىء

ووصلنا الى كوبرى عباس الثانى واجتزناه الى كوبرى الملك الصالح وانا نازل (هرى) فى حضرة الباشمهندس وهو يستبق بكل ما يؤاتيه من الفاظ السباب

ولما اصبحنا قريبين من نقطة بوليس فم الخليج تحت عسكريا عن بعد فاعطيت اشارة لمحمود ان يهدىء من سرعة الموتوسكل حتى اذا اصبحنا على قيد عشرة امتار

من العسكرى نزلنا ـ ابراهيم وانا ـ ثم انطلق (محمود) بالموتوسكل والسيدة ليوصلها الى بيتها

ولما نزلنا انا وابو خليل لتصفى حسابنا رآنا العسكرى ونحن نتلاكم فهرول نحونا واوقفنا عند حدنا وانا اتظاهر بالهدوء بينما صاحبي يغلى ثائراً وما يزال يسبنى ويلعننى وانا اقول له (طيب ياسى ابراهيم ، لما تفوق انافكرك بهذا كله) وهو مواصل شتيمته ، فقلت للعسكرى (اظن ان الافضل ان تأخذنا الى القسم لأن صاحبى فى حالة سكر شديدة ويمكن يحصل مالاتحمد عقباه !) فاقتادنا العسكرى الى النقطة

وظل ابراهيم أفندى يشتمنى طول الطريق وأنا لا أجيبه بغير « الله يسامحك ! »

ولما دخلنا النقطة كان قائماً بالعمل فيها صف ضابط برتبة شاويش . فحياه ابراهيم افندى ، من غير تكليف ، وجذب كرسياً وجلس بينما ظللت أنا واقفاً أنظر اليه بما يسمونه البرود الانجليزى

وأخيراً ــ أى بعد أن أغفلنا الشاويش نيف وعشر دقائق ــ رفع رأسه بتؤدة سائلاً ابراهيم أفندى ما الخبر ، فانطلق الباشمهندس كالسهم الطائش قائلاً :

ــ الولد القبيح ده (مشيراً إلى طبعاً) مش عارف اذا كان بيشتغل صبى حكيم والا ترجى أو كاتب فى اسبتاليه زى مايقول . نهايته . وأنا ابراهيم المهندس بوزارة ، وجيت أزور واحد صاحبي عاوزنى ارسم له بيت ، فجاءنى هذا الافندى يطلب منى سمسرة ، ولما أخبرته أنى لا أجد مبرراً لاعطائه شيئاً هجم علىّ فى الطريق العام وحاول أن يستلبنى نقودى .

فنظر الشاويش إلى نظرة فاحصة وسألنى ردى على التهمة الموجهة الى فقلت :

ــ محسوبك ج . كاتب أول صحة ... (ووضعت يدى فى جيبى لاخرج له أوراقاً تثبت شخصيتى فقاطعنى معلناً أنه يعرفنى إذ قد سبق له أن رآنى ، فشكرته واستأنفت) وكنا أنا وصديقى ابراهيم افندى نتفسح فى الجيزة فشربنا قليلاً ، ولدى عودتنا رأى ابراهيم افندى بعض السيدات فى سيارة فذهب يعاكسهن فلما رأيت أن المسألة تكاد تستفحل منعته بالقوة من الاسترسال فى معاكستهن ولئن حضرنا أنا وهو فقط أمام سعادتك لافضل الف مرة مما لو كنا حضرنا ومعنا السيدات اللواتى كدنا نشتبك معهن بسبب سكر صديقى ، وأنى مغتفر له كل ماوجه إلى من اساءة

فصاح ابراهيم وهو يكاد يتميز من الغيظ

ـــ تالله انك كذب ولم يحصل شيء من ذلك مطلقا وأنت أيها تادى الشاويش سعادتك لتبلغه بهذا التفخيم

فأجبته مبتسما ـ ان حضرته فى مركزه يمثل أكبر سلطة فى البلد

فقاطعنى صاحبي صائحا ـ تالله يا .. يا .. لاتخفض منك شر انتقام

فقال له الشاويش ـ كفاك ماوجهته له من الفاظ لولا حلمه وكرمه لكان آخذك عليها

ـــ ألم أقل أنه مادام قد منحك لقب السعادة فانت ستنصره على ؟!

وهنا ثار الشاويش واستدعي عسكرى ، الصالة ، وأمره بأن يستبقى الباشمهندس فى الحجز حتى ، يفوق ، ثم التفت الى قائلا ، تفضل حضرتك ولاتؤاخذنا ،

٭٭٭

فصحنا جميعا بصوت واحد . العفو عليك يا [illegible] أفندي

فتجهم وجهه وتقلصت عضلاته بشدة قبضة يده ثم قال وليس هذا هو بيت القصيد وانما المهم أن صديقى محمود لم يعد للسؤال عنى وقد مكثت انتظره طول الليل فى منزلى فلم يحضر . والحقيقة أنى لولا الحيلة لكان ابراهيم افندى قد افترسني . ولكنى كما أخبرتكم لم أنزل من الموتوسيكل واشتبك معه إلا وأنا على ثقة من قرب العسكرى منا . وكان واجبا على صديقى محمود أن يعود ليسأل عنى . ولكنه لم يفعل . فاذا كان هذا هو وفاء الاصدقاء فعلى الوفاء العفاء

احمد

ظهر حديثاً

قصة الطوفان

وتطورها في ثلاث مدنيات قديمة هي
الاشورية البابلية والعبرانية والمسيحية
وانتقالها باللقاح إلى المدنية الاسلامية
بقلم
إسماعيل مظهر
صاحب مجلة العصور ومحررها

بحث فى مقارنة الأديان يقع فى ثمانين صفحة من القطع الكبير فيه مقدمة مستفيضة عن حدود المعرفة الانسانية وتقسيمها على مقتضى كفايات العقل الانسانى - وفى هذه المقدمة تحليل دقيق للفرض الامكانى والفرض الضرورى والفرق بينهما واثبات أن فكرة وجود اله فرض ضرورى للاحتفاظ بألفة العقل الانسانى . ثم يلى ذلك ستعراض لقصة الطوفان كما وردت فى القرآن ثم استعراض لها كما وردت فى سفر التكوين وهو السفر الأول من أسفار توراة موسى ثم فصل مستفيض فى أصل القصة عند البابليين وأبطالها وأطوارها وأساسها ونهايتها ووصف كامل لنوح البابلى — أوت نابشتيم — وكيف صنع الفلك وكيف رسى على الجبل وكيف أرسل من الطير رسلا وكيف منحته الآلهة الخلود — كل هذا فى أسلوب روائى ميثولوجى طريف ، كما قرئت القصة فى الالواح التى عثر عليها فى نقائض بابل

ثم بعد ذلك فصل فى مقارنات عامة بين القصص الميثولوجية المختلفة كما وردت فى مختلف العقائد عند الاغريق وأهل الهند وفى الآداب السنسكريتية والأقاصيص الصينية وعند المصريين وفى بلاد المكسيك وعند قبائل « الهوا » وفى البرازيل وهنود كاليفورنيا . كل هذا مسوق فى صورة مقارنات مع ما ورد فى الديانات الكبرى، اعتمد فيها على جمع من كبار المؤلفين مثل جاكسون ويتشز وموراتون وسير مونيار وليز ومكنزى وكنتج والعلامة روبرت برون الصغير وويدمان ولينستر وكيتنج وأسفار الرغيدا والفانا بارفا والمهابهارانا وغيرها

الثمن ٥ قروش بخلاف أجرة البريد

يطلب من دار العصور ومن كل المكاتب المعروفة

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشيئها

الدكتور يعقوب صروف و الدكتور فارس نمر

أقدم مجلة علمية فى الشرق العربى تمتاز الآن كما امتازت فى كل أدوارها الماضية بدقة مباحثها وانتقاء موضوعاتها وتوفرها على الدراسات المفيدة الموافقة لروح العصر

قيمة الاشتراك — فى القطر المصرى جنيه مصرى واحد وفى سورية وفلسطين والعراق ١٢٠ غرشاً مصرياً وفى الولايات المتحدة ٦ دولارات امريكية وفى سائر الجهات ٣٦ شلناً

اشتراك الطلبة والمدرسين — قيمة الاشتراك للاساتذة والطلبة الذين يرفقون طلبهم بقيمة الاشتراك وشهادة من رئيس المدرسة تكون ٨٠ غرشاً مصرياً فى مصر و ٩٥ غرشا مصريا فى الخارج

العنوان — ادارة المقتطف بالقاهرة — مصر

AL-MUKTATAF

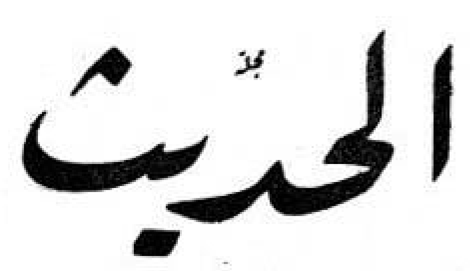
An Arabic Monthly Review of Current Science and Literature.

Published in Cairo Egypt.

FOUNDED 1876 BY Drs. Y. SARRUF & F. NIMR

SUBSCRIPTION PRICE : Egypt & the Sudan 1 L. E. or 5 Dollars

Foreign 120 P. T. or 6 Dollars



مجلة أدبية تجديدية تعمل لحرية الفكر وتدعو لنبذ التقاليد يصدرها

شهريا في حلب — سوريا

الاستاذ سامي الكيالي

يحررها نخبة من كتاب سوريا و يوالي الكتابة فيها نخبة من كبار كتاب مصر المعروفين وتعمل في أول ما تعمل له على تحرير الأساليب الفكرية القديمة بما يوافق روح العصر الحاضر

شعارها تحرير الفكر في آثار التقاليد القديمة والأساطير التي ظلت ثابتة في عقلية الشرقيين منذ أبعد الأزمان . وهذا ما يعني في الحديث ، بالتجديد مع المحافظة على الروح الشرقية والآداب الشرقية القائمة على الاسس الأولية في الجماعات الاسلامية .

تباع وتقبل اشتراكاتها في مصر بادارة مجلة العصور و بالمكتبة الانجليزية C. M. S. بشارع عماد الدين وثمن العدد ثلاثة قروش مصرية .

عضدها لتعضد حركة التجديد وتعمل على تحرير الفكر الشرقي

Samy Al-Kayyali

Al-Hadith Review

Aleppo-Syria

معضلات المدنية الحديثة

ومقالات أخرى

بقلم

إسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

يخيل إلى الكثيرين أن المدنية الحديثة مدنية دعة وسلام وثروة فائقة . يحكمون بذلك إذ يرون وجه المدن باسماً وضاحاً . فهم كالذين ينظرون في الطبيعة فيبتهجون بما فيها من جميل المناظر ، ثم يغفلون عما يختفي وراء هذه المناظر البديعة من قتل وموت وافناء في صور الحياة .

أما إذا قرأت « معضلات المدنية الحديثة » فانك ولا شك تعرف ما هي أوجه الشقاء التي تختفي وراء مظاهر المدنية . والكتاب عبارة عن مطالعات ومقارنات بين كتابين الف أحدهما الكاتب اوستن فريمان الانجليزي وألف الآخر العلامة مولرلير الألماني . فالكتاب في الواقع كتابين، يضاف اليهما مقارنات في مواضيع عديدة تبين عن قصد كل منهما واتقادات شتى لبعض الاتجاهات التي اتجه فيها كل منهما

هذا بخلاف مقالات أخرى تناولت موضوعات حيوية لها شأنها اليوم في علم الحياة والأدب

الثمن ١٥ قرشاً بخلاف أجرة البريد

ويطلب من دار العصور ومن المكاتب المعروفة

تاريخ الفكر العربي

في نشوئه وتطوره بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية

ومقالات اخرى

بقلم

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

قل في العالم العربي من يعرف كيف تطور الفكر العربي وكيف تأثرت الفكرة العربية الصميمة قبل الاسلام و بعده . أما كتاب تاريخ الفكر العربي ، فيعطيك فكرة كاملة اساسها التاريخ الصحيح عن العوامل التي اثرت في الفكر العربي قبل الاسلام والعوامل الثقافية التي اثرت فيه بعده

وقل في العالم العربي من يعرف ان منازعات أهل الكنيسة في عصور الانحطاط الاوروبي كانت سببا في أنه ينتشر الفكر الاغريقي في أنحاء الشرق وعلى الاخص في شمال جزيرة العرب من طريق المدارس في نصيبين والرها وحران وفي مصر عن طريق مدرسة الاسكندرية . وكل هذا التاريخ الشيق العذب يسرده كتاب تاريخ الفكر العربي فضلا عن تراجم كثير من مشهوري العرب ومؤلفيهم ومترجميهم . وتاريخ بيت الحكمة والكتب التي ترجمت فيه .

ثم مقالات اخرى عن جابر بن حيان الكيماوي ثم عن بشار بن برد وعن مهيار الديلمي وأبو العلاء المعري وغيرهم

الثمن ١٥ قرشا صاغا بخلاف اجرة البريد

و يطلب من دار العصور ومن المكاتب المعروفة

نزعة الفكر الاوروبى

مقالة مترجمة عن العلامة

جون تيود ورمرز

بقلم

إسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

لا جرم أن الفكر الأوروبى فى هذا العصر هو عنوان الفكر الانسانى . كما أن المدنية الغربية هى عنوان الحضارة الانسانية . فاذا وقفت على متجه الفكر الاوروبى وتشربت بهذه الطريقة روح المدنية الغربية : انتقلت من عالم الجمود الفكرى إلى مطاوعات الفكر الحديث ، وخرجت من حيز القديم البائد إلى مرونة الفلسفة الحديثة

والاستاذ العلامة جون تيودور مرتز صاحب كتاب « تاريخ الفكر الاوروبى » المعروف أجدر المؤلفين بأن يدرس وأن يعكف على فهم مغازيه وتفهم حقيقة المرامى التى رمى اليها فى كتابه العظيم . ولقد صب هذا المؤلف الكبير كتابه فى قالب سلس مفهوم على دقة المعانى التى تناولها وعويص المسائل التى عالجها جولاته التى رفعته إلى صف كبار المؤلفين فى أوائل القرن العشرين

وقد ترجمنا له هذه المقالة فوقعت فى أكثر من ٨٠ صفحة من القطع الكبير أحاطت بمنازع الفكر الأوروبى على اختلاف نواحيه من علم وفن وأدب وفلسفة إحاطة تامة .

نهضة فرنسا العلمية

في القرن التاسع عشر

مقالة مترجمة عن العلامة

جون تيودور مرتز

بقلم

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

«نهضة فرنسا العلمية» احدى القطع التي يمتاز بها كتاب «مرتز» الذي اشرنا اليه في التعريف بمقالته «نزعة الفكر الاوروبي» وهي في الحقيقة استعراض للعوامل الحقية التي لعبت دوراً هاماً على مسرح الفكر الفرنسوي، وكان عنوان الفكر العالمي في القرن الثامن عشر، وشرح مستفيض للحوادث الجسام التي طرأت على فرنسا في خلال ثورتها الكبرى فكان لها اثر على الاتجاه الفكري فيها.

وفي هذه المقالة من الأدب قسط وافر، ومن العلم الوصفي قدر كبير. وفيها من التعريف باعلام الادب ورجالات العلم والتاريخ مايضاعف قيمتها. ففيها تقرأ عن كوفييه وعن كوندورسية وفولتير وديدرو وروسو ودونو وجارا والفزيوقراطيين والتصوريين، وعن لابلاس وآبي هوى ومونج وغيرهم، قطعا تاريخية تصويرية شيقة مصبوغة في قالب طريف ومجلوة في ثوب تاريخي جدير بان يكون مثالا يحتذى لمن يريد أن يدرس متجهات الفكر الحديث أو من يحاول تدريس تاريخ الفكر

الثمن ٥ قروش صاغ بخلاف اجرة البريد

ويطلب من دار العصور ومن المكاتب المعروفة

محاورات رينان الفلسفية

نقلها الى العربية الاستاذ على أدهم

ارنست رينان أحد ابناء الكثلكة الذين خرجوا عليها وثاروا ضدها . وأعدى ما يكون عدوك من عرف مواضع ضعفك . وهذا هو السر فى قوة رينان

ان ارنست رينان أحد كبار الفلاسفة ومن أكبر مؤرخى النصرانية . كتب فى تاريخ اللغات الارامية والسامية كتابا أعانه البحث فى مصادره على الوقوف على كثير من أسرار التاريخ القديم فكان من أقدر المؤرخين الذين كتبوا عن حياة المسيح وعن تاريخ النصرانية فى أدوارها الطويلة . هذا اختاره الفرنسيون ان يمثل فرنسا يوم أريد ان يخلد سبينوزا فى ميدان بالهاي . وكذلك اختاره ممثلو الحفل الحاشد ان يخطب الخطاب . فلم يخف ان يشير الى النافذة التى كان يطل منها سبينوزا على الميدان قائلا — لعل الله كان اقرب الى هذه النافذة منه الى أى مكان فى الارض . — هذا على أن سبينوزا مات شريداً مطروداً من حظيرة اليهود منبوذاً من جماعات النصارى .

أما محاوراته التى نقلها الاستاذ على أدهم الى العربية اصح نقل وأدقه ، وفى أحسن أسلوب ، فاحدى مؤلفاته الخالدة . تناول فيها مختلف جهات الفكرة التى أسس عليها معتقده وثبتت عليها عقيدته ، ساقها على لسان غيره وان كانت فى الحقيقة لب مذهبه الفلسفى .
وليس رينان غريبا عن أهل العربية فهو صاحب ذلك الرأى المعروف الذى رد عليه الاستاذ محمد عبده ، ثم صار فى مابعد كتاب « الاسلام والنصرانية » المعروف والذى اعتمد فيه محمد عبده على المؤلف ودراية الامير بكر كما سبق وأظهرنا فى العصور .

ثمنه ١٠ قروش صاغ غير اجرة البريد

ويطلب من دار العصور ومن المكاتب المعروفة

ثلاث أوبرات كاملة

من تأليف الشاعر المجدد الكبير

احمد زكي ابو شادي

١ - الآلهة

٢ - بنت الصحراء

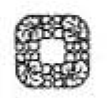
٣ - اخناتون

وهي أوبرات كبرى متنوعة عنيت دار العصور للطبع والنشر باصدارها بما عرف عنها من العناية الكاملة بامثال هذه المطبوعات .

ولقد أظهر الدكتور أبو شادي في هذه الاوبرات من القدرة على جمال الوضع وحسن النسق ودقة الاختيار وروعة المواقف ما يشهد له بالعبقرية الفائقة في هذا الميدان التي تفرد به وحده حتى الآن .

في هذه الاوبرات الثلاث خيال وتاريخ وحقيقة: ففي الآلهة خيال سام ، وفي اخناتون تاريخ ومواعظ ، وفي بنت الصحراء حقيقة وعواطف .

ثمن كل نسخة ٥ قروش صاغ بخلاف اجرة البريد ، فاطلبها من دار العصور ومن كل المكاتب المعروفة.



أصل الأنواع

ونشوئها بالانتخاب الطبيعي وحفظ الصفوف الغالبة في التناحر على البقاء

ألفه العلامة الكبير معلم القرن التاسع عشر

شارلس روبرت داروين

ونقله الى العربية وعلق حواشيه المستفيضة

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

يصدر في أجزاء متتالية عددها خمسة متساوية الحجم كل منها ثلاثة فصول من الاصل ماعدا ملحق بالتعليقات والشروح التي وضعها المترجم

ولا يخفى أن نزعة أكثر العلماء والفلاسفة متجهة اليوم الى تطبيق قواعد مذهب النشوء الاولية على فروع العلوم الحديثة وعلى فروع الفلسفتين العقلية والوصفية ، لهذا يعتقد زعماء الحركة الفكرية في الغرب أن الوقوف على تفاصيل هذا المذهب الكبير أساس ضروري لتكوين أسلوب عقلي يوافق مجرى الفكر الانساني كما صبه فيه زعماء النشوئيين في أواخر القرن التاسع عشر . لهذا يجب على كل متعلم وعالم أن يقرأ هذا المذهب في منبته الأصلي، أصل الأنواع ، ذلك الكتاب الخالد الذي لا يستغني عنه عقل مثقف على النمط الحديث .

ظهر منه جزآن ثمن كل منهما ١٥ قرشا صاغا خلاف أجرة البريد

وسيظهر الجزء الثالث في مدى شهر واحد

أطلبه من دار العصور ومن المكاتب الشهيرة



THE CLINICIAN & THE LABORATORY

تأليف

الدكتور أحمد زكى أبو شادى

البكتريولوجى بمعامل الصحة الفنية بالقاهرة

يقع هذا التأليف القيم الجامع فى نحو ٩٠٠ صفحة ، منها زهاء مائة صفحة خاصة بملحقه التصويرى المشتمل على ٣٦٠ شكلا مطبوعة أجمل طبع على ورق صقيل لامع وقد تضمن متن الكتاب صفوة خبرة المؤلف فى أربعة عشر عاماً قضاها فى التخصص العلمى ، فضلا عن زبدة مطالعاته الكثيرة ومختار تلخيصاته وترجمته . والى جانب هذا يتضمن الكتاب عدداً من الفصول العلمية القيمة لطائفة من أطباء معامل مصلحة الصحة البارزين يوفى مقدمتهم جناب مدير المعامل وحضرة وكيلها ، والدكتور أنيس أنسى بك رئيس القسم الباثولوجى فيها ، والدكتور على بك يحيى رئيس قسم القكسين والدكتور لويس بك عوض رئيس قسم التطعيم وغيرهم . والكتاب مصدر بمقدمة للاستاذ الدكتور محمد خليل بك عبد الخالق (رئيس قسم الابحاث بمعامل الصحة وأستاذ علم الطفيليات بكلية الطب) تعريفاً بقدر الكتاب ومباحثه المفيدة التى تمتاز الى جانب الدقة العلمية بسهولة لغتها الأدبية المتينة .

وقد عنيت (دار العصور للطبع والنشر) باصداره خدمة للأدب العلمى ، ولأنه أول كتاب شامل من نوعه فى اللغة العربية ورأت من أجل ذلك أن تقتصر على بيعه بثمن نفقاته فحددت ثمن النسخة خمسة عشر قرشا فقط (تضاف اليها أجرة البريد) حتى يعم انتشاره بين الأطباء الكلينيكيين وأطباء المراكز والمستشفيات فى العالم العربى على أن الكتاب ذو فائدة جزيلة لمحبى الاطلاع والعرفان العلمى وان لم يكونوا من زمرة الأطباء وخصوصاً لاساتذة المدارس ، فهو جدير إذن بأن لا تخلو منه مكتبة عصرية

اطلبه من دار العصور ومن كل المكاتب الشهيرة



وروايات وابحاث اخرى

الناسك — مالينى — الملك والملكة — علاقة الانسان بالكون الخ

مترجمة عن الشاعر الالهى الكبير

رابندرانات طاغور

بقلم

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

يمتاز شاعر الشرق على وجه عام وشاعر الهند بوجه خاص بميزاته المثالية خلقاً وشعراً وفلسفة ونزعة ، فكل معانيه الشعرية وكل مراميه الأدبية تعبير خالص عن الروح الانسانية فى أرقى درجات تساميها عن المادة وعن الأرضيات . ففى كل سطر من سطوره وفى كل معنى من معانيه روح تخاطبك من خلال السطور فتطير على اجنحتها السحرية الى عالم الحقيقة الذى يدعوه بقية الشعراء عالم الخيال . وهذه هى الميزة الآلهية التى يمتاز بها طاغور .

تقرأ فى هذا السفر روايته «الضحية» التى كانت من بين الاشياء التى نال بها طاغور العظيم جائزة نوبل فى الآداب وهو أول شرقى نال هذا الشرف الغربى على شدة ما يضن به الغربيون على الشرقيين ، فعضد الادب الشرقى منقولا عن طاغور مفاخراً بشرقيتك التى اعترف لها الغرب بالتفوق على الغرب .

فى طاغور مسحة من النبوة ومسكة مما وراء الطبيعة — كما أن فيه كل عظمة يمكن أن تحملها الأرض مجسمة فى صورة انسان . فاتصل بروح النبوة واستنشق شيئاً مما وراء الطبيعة ، عالم الخلود ، بان تقرأ الضحية وبعض رواياته وأبحاثه الاخرى

الثمن ٦ قروش صاغ بخلاف اجرة البريد

يطلب من دار العصور ومن المكاتب المعروفة



اتخذت دار العصور للطبع والنشر فى القيام بهذه الخدمة الأدبية الكبرى باعادة طبع هذا الكتاب العظيم واقعاً فى ثمانية مجلدات ضخام كل منها فى حوالى ٥٠٠ صفحة من القطع الكبير على ورق جيد وفى أحسن ثوب يمكن أن تسبغه المطابع على كتب الأدب

صدر منه للآن جزآن كبيران والثالث يظهر بعد أسبوعين تقريباً فى نفس الثوب الذى ظهر به الجزآن الأولان، وقد عنينا بتصحيحه عناية خاصة ووضعنا لكل جزء فهارس مستفيضة . ذلك عدا فهرس عام يلحق بآخر الجزء الثامن من الكتاب .

وإذا اختارت دار العصور هذا الكتاب من بين الكتب القديمة فانما اختارته لان الكتب التى وصلت الينا عن العرب ليس فيها من المبتكرات العلمية والأدبية الا ما احتوت عليه بضعة كتب كبيرة منها خزانة الأدب .

وتسهيلا لاقتنائه جعلنا ثمن الجزء الواحد منه ١٠ قروش صاغ وثمن النسخة الكاملة ٨٠ قرشاً صاغاً بخلاف أجرة البريد على رغم ما تبذل فيه من العناية وما نصرف فيه من جهد

أطلبه اليوم من دار العصور أو من أحدى المكاتب الكبيرة تقتصد من مالك وتكسب الأدب

فهرست

لفت نظر

وقع خطأ فى ترقيم صفحات الملزمة الأولى من هــذا العدد فوضع رقم ١ على الصفحة الأولى وصحته ١١٣ ثم رقم ٢ وصحته ١١٤ وهكذا لغاية صفحة ١٦ وصحتها ١٢٨